القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر

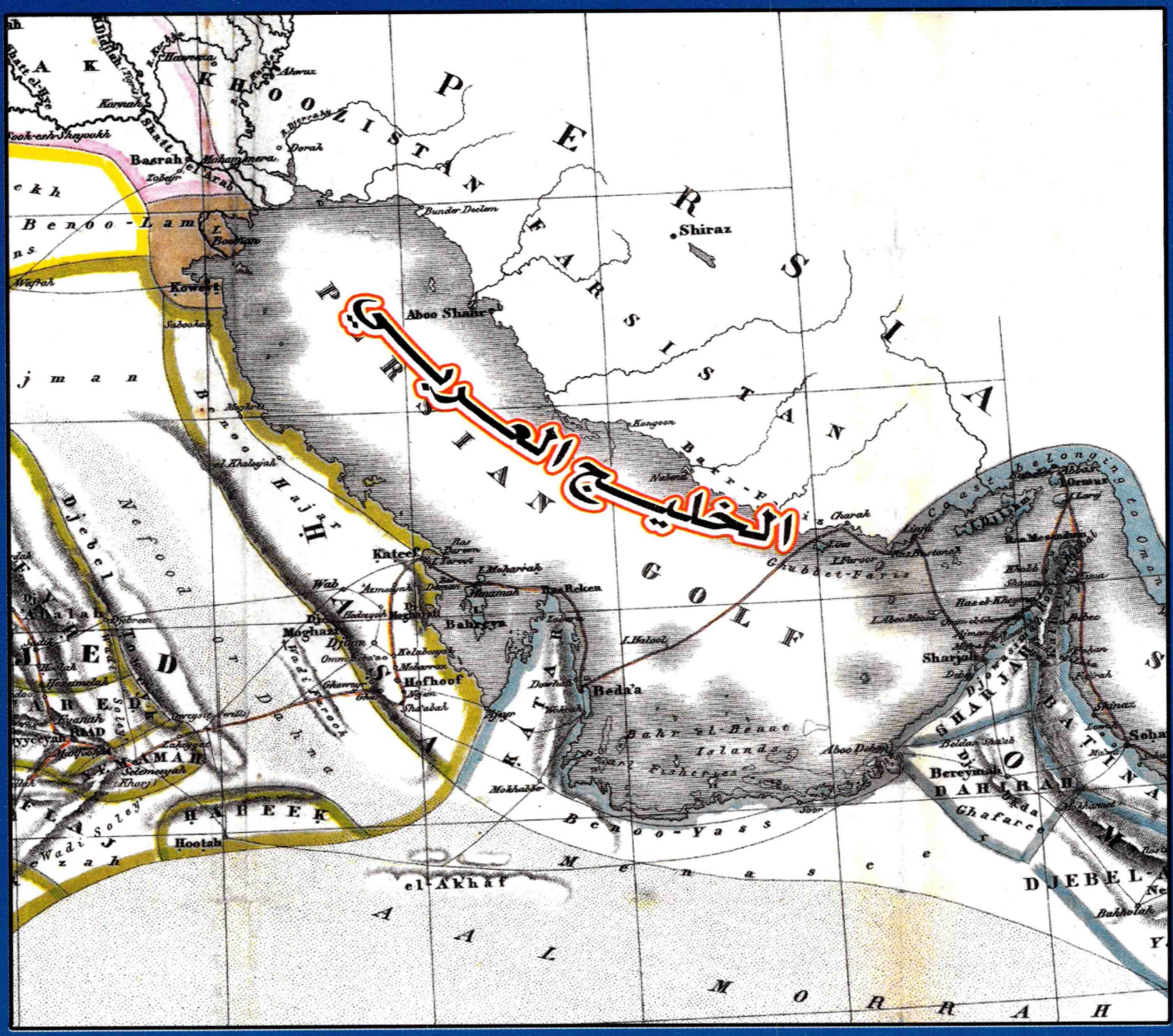

د . عبدالأمير محمد أمين

القوى البحرية في الخليج العربي
في القرن الثامن عشر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادّته بطريقة الإسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت «الكترونية» أو «ميكانيكية»، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك. إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

All rihgts reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publisher.

* اسم الكتاب: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر
* تأليف: د. عبد الأمير محمد أمين
* الطبعة الأولى لشركة دار الورّاق للنشر المحدودة، 2007.
* جميع الحقوق محفوظة
* تصميم الغلاف: جبران مصطفى.
* صورة الغلاف: خريطة الخليج العربي من القرن الثامن عشر.
* الناشر: شركة دار الورّاق للنشر المحدودة - بغداد.

First edition by Alwarrak Publishing Ltd. 2007

www.alwarrakbooks.com

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
Suite 500, 56 Gloucester Road,
London SW7 4UB. UK
Fax: 0044-207 581 9213
Tel: 0044 208-7232775
warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - بناية رسامني - طابق سفلي أول
ص. ب 6435-113 بيروت - لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

د. عبد الأمير محمد أمين

القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر

المحتويات

المقدمة 7
الفصل الأول: سياسة نادر شاه البحرية وأثرها في الخليج ... 13
الفصل الثاني: ازدياد قوّة القبائل العربية في الخليج العربي .. 47
الفصل الثالث: الغزو الإيراني للبصرة ودور الأساطيل البحرية فيه 77
مخطط مدينة البصرة.. رسمه نيبور سنة 1765م 88

الملاحق

الملحق الأول أساطيل القبائل العربية في الخليج 111
1 ـ قبيلة كعب 111
2 ـ بندر ريق وبوشير 111
3 ـ شيخ جزيرتي هرمز وقشم 112
4 ـ إمام وأمير مسقط 112
الملحق الثاني: باشوات بغداد في القرن الثامن عشر 113
الملحق الثالث: حكّام البصرة ومتسلموها خلال القرن الثامن عشر 115

الملحق الرابع: شيوخ بني كعب خلال القرن الثامن عشر ... 117
الملحق الخامس: ممثلو شركة الهند الشرقية الإنكليزية في
البصرة خلال القرن الثامن عشر 118
أ ـ المقيمون 1728م ـ 1763م 118
ب ـ الوكلاء 1763 ـ 1778م 119
ج ـ المقيمون 1778م ـ 1800م 119
الملحق السادس: المصادر 120
المصادر العربية 120
المصادر الأجنبية 122
أ ـ سجلات شركة الهند الشرقية 122
ب ـ الكتب والمقالات 122

المقدمة

لعبت القوَّة البحرية دوراً أساسياً في تاريخ الخليج العربي في مختلف عصور التاريخ. وقد أعطت هذه القوَّة، لمن ملك ناصيتها، سيادة مطلقة في الخليج العربي لمدة تزيد على قرن من الزمان لأنَّهم جاؤوا إلى هذا الخليج بأساطيل قوية، مؤلفة من سفن كبيرة ذوات أسلحة نارية فتاكة، لم يكن لسكان المنطقة قِبَلٌ بها، وقد عجزوا عن مقاومتها. وعندما فقد البرتغاليون تفوقهم البحري في القرن السابع عشر، خسروا سيادتهم على المنطقة.

وظهر الإنكليز والهولنديوُن في الخليج العربي منذ أوائل القرن السابع عشر، ونافسوا البرتغاليين منافسة شديدة كانت سبباً في إضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم. وعلى الرغم من أهمية الدور الذي لعبه الإنكليز والهولنديون في المنطقة، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، فإنَّه لم يتيسر لأي منهم ضمان تفوق بحري، لهذا بقي نفوذهم محدوداً في الخليج. وقد تنازعت السيادة على المنطقة قوى مختلفة خلال

القرنين المذكورين. وتميَّز العمانيون بنشاط ملحوظ خلاف النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثاني عشر. وتولوا بالذات تصفية نفوذ البرتغاليين في الخليج والاستيلاء على قواعدهم الواحدة تلو الأُخرى. وحاول الإيرانيون في عهد نادر شاه ـ للمرَّة الأولى في تاريخهم الحديث ـ تأسيس قوَّة بحرية فعَّالة في الخليج، وفرض سيادة إيرانية على المنطقة.

وقد حاولت في هذه الصفحات أن أبرز الدور الذي لعبته القوى البحرية المتصارعة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر وإن أوضح أثر ذلك الصراع في العراق، ونظمت البحث في فصول ثلاثة:

تناولت في الفصل الأول من الكتاب البحث في سياسة نادر شاه البحرية وأهميتها، وبينت مدى نجاحه في فرض السيادة الإيرانية على الخليج العربي، ولم يستطع الإيرانيون الاحتفاظ بالأسطول الذي أسسه نادر شاه، ففي خضم الفوضى التي سادت إيران بعد وفاته عام 1747م وقع الأسطول الإيراني في أيدي بعض القبائل العربية في الخليج. الأمر الذي زاد في قوتها، وأخذت تهدد بقية القبائل العربية في المنطقة، ممَّا دفع هذه القبائل إلى تعزيز أساطيلها، وهكذا شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر ازدياداً ملحوظاً في قوَّة القبائل العربية ونشاطها.

أمَّا الفصل الثاني فقد تتبعت فيه نمو القوَّة البحرية لاثنين من رؤساء العرب في الخليج هما مير مهنا وشيخ سلمان رئيس بني كعب. كما درست مدى تأثير هذا النمو في الخليج العربي بصورة عامة ومن تجار البصرة بصورة خاصة.

وفي أوائل العقد السابع من القرن الثامن عشر أصبح كريم خان حاكم إيران المطلق بعد أن قضى على جميع منافسيه. ولم يحاول كريم خان بناء أسطول إيراني في الخليج، بل عمد إلى بسط نفوذه على كثير من رؤساء القبائل العربية في المنطقة. وقد مكَّنه هذا من استخدام أساطيل هذه القبائل لتحقيق أهدافه ومشروعاته في الخليج.

وتناولت في الفصل الثالث غزو كريم خان للبصرة واحتلاله إياها وقد بينت الأثر السيىء الذي خلفه الاحتلال الإيراني في الحياة الاقتصادية في البصرة.

وحاولت في جميع فصول الكتاب إظهار تخلف العراق من النواحي البحرية وكيف أنَّ هذا التخلف لم يقتصر على حصر نفوذ حكَّام العراق ـ ولاة بغداد ـ داخل ولايتهم ومنع امتداده إلى الخليج، بل لقد هدّد هذا التخلف البحري مصالح الولاية بأجمعها وسلامتها. فقد تعرَّض العراق بصورة عامة، وتعرضت البصرة بصورة خاصة، لكثير من النكبات والمتاعب نتيجة لإهمال القوَّة البحرية، تلك النكبات والمتاعب التي حاولت شرحها في هذا الكتاب.

وأعتقد أنَّ الجوانب المتعددة الَّتي تثيرها هذه الدراسة تلقي كثيراً من الأضواء على تاريخ الخليج العربي، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في إعطاء القارىء العربي فكرة واضحة عن الدور الذي لعبته الأساطيل البحرية في تاريخ هذا الخليج خلال القرن الثامن عشر

الدكتور عبد الأمير محمد أمين

الفصل الأول

سياسة نادر شاه البحرية وأثرها في الخليج

سياسة نادر شاه البحرية وأثرها في الخليج

تميّز تاريخ الخليج العربي في القرن الثامن عشر بازدياد الفعاليات البحرية للقوى المحلية والأوروبية فيه. وكانت القوى المحلية متمثلة في الإيرانيين وعرب عمان وفي بعض القبائل العربية الأُخرى. أمَّا القوى الأوروبية فكانت متمثلة في الإنكليز والهولنديين. ومع أهمية الدور الذي كان يقوم به هؤلاء الأوروبيون فإنَّ سيادتهم على المنطقة كانت لا تزال في ضمير المستقبل، أمَّا نفوذهم فكان محدوداً، بل إنَّ وجودهم نفسه كان عرضة للتهديد من سكان المنطقة الأصليين من عرب وإيرانيين.

والعراق من حيث سعة المساحة وكثرة الموارد والسكان ويعتبر من الأقطار المهمة في منطقة الخليج العربي. ثم إنَّ وضعه الجغرافي وموقع البصرة السوقي هيآه أن يقوم بدور مهم في المنطقة وأن يتمتع حكّامه، باشوات بغداد، بشيء كثير من النفوذ فيها. ولكن ذلك لم يحدث، مع أنَّ ظروف العراق كانت متهيأة لذلك في القرن الثامن عشر أكثر ممَّا

كانت مهيأة له فيما سبق. فقد تمتعت البلاد خلال الجزء الأكبر من هذا القرن بشيء كثير من الأمن والاستقرار وفَّره لها عدد من باشوات بغداد الأقوياء[1].

وكان حسن باشا أول هؤلاء الباشوات، وقد تولى أمر الباشوية سنة 1704م واستمر حكمه مدة تقارب العشرين عاماً[2]. وهذه الفترة الطويلة في الحكم مكَّنته من تفهم أوضاع العراق ومشاكله فهما كان يفتقر إليه من سبقه من الولاة. وخلف حسن باشا ابنه أحمد باشا. وقد حكم هذا فترة طويلة أُخرى امتدت إلى سنة 1747م. لم يكن الابن أقل قابلية وكفاءة وإخلاصاً من أبيه. وهكذا تمتع العراق في عهد هذين الواليين ولمدة تقارب نصف قرن بحكومة قوية كان قد افتقدها قرون عديدة سابقة. وتولى الحكم بعد أحمد باشا صهره سليمان آغا وبه ابتدأ حكم المماليك في العراق، ذلك الحكم الذي امتد إلى فترة غير قليلة من القرن التاسع عشر[3]. وكان عدد من ولاة

---

(1) انظر عن تاريخ العراق العام خلال القرن الثامن عشر: عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج50، 6 (بغداد 1953، 1954) وكذلك:
J.G. Lorimer, Gazetteer of the Persion Gulf, 'Oman, and Centeral Arabia, Calcutta: 1908, Vol, 1. Part 1; S.H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford: 1925.

(2) انظر عن فترة حسن باشا بصورة خاصة الشيخ عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي. (بغداد 1962م، ج10).

(3) انتهى حكم المماليك في العراق عام 1831م.

المماليك على جانب متميز من الكفاءة والمقدرة كسليمان آغا نفسه وسليمان الكبير وداود باشا آخرهم[1].

وقد امتد حكم أغلب هؤلاء الباشوات إلى بقعة من الأرض أوسع من بقعة العراق الحالية. كما أنَّهم كانوا يتمتعون بشيء كثير من الاستقلال بإدارة شؤون ولايتهم، بل لم يكن خضوعهم للسلطان إلَّا خضوعاً اسمياً في أغلب الأحيان.

وللخليج العربي أهمية بالغة بالنسبة لحكَّام العراق لا لأنَّه يشكل جبهة الدفاع الجنوبية فحسب وإنَّمَا لأنَّ أهميته كبيرة من ناحية الملاحة والتجارة البحرية أيضاً ذلك لأنَّ الخليج العربي هو الطريق الوحيد للتجارة بين الهند والبصرة، هذه التجارة التي كانت توفر لباشوات بغداد جزءاً غير يسير من مواردهم المالية، والتي كانت تكون ركناً أساسياً من أركان اقتصاديات الولاية. فقد كانت البصرة في ذلك الوقت مركزاً تجارياً مهماً، بل إنَّها

---

(1) انظر عن عهد المماليك في العراق: الشيخ رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية موسى كاظم نورس (مكتبة النهضة بغداد)، الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني: خمس وخمسون عاماً من تاريخ العراق 1188هـ ـ 1242هـ، وهو مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، للشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي، (القاهرة 1370هـ)، سليمان فائق بك: تاريخ المماليك «الكوله مند» في بغداد، نقله عن التركية محمد نجيب أرمنازي، (بغداد 1961م)، للمؤلف نفسه انظر: تاريخ بغداد، نقله إلى اللغة العربية موسى كاظم نورس، (مطبعة المعارف، بغداد 1962م)، أحمد علي الصوفي: المماليك في العراق 1749 ـ 1831م (الموصل 1952).

كانت من أهم مراكز التجارة في الشرق[1]. فإليها كانت البضائع تأتي من الهند، وتنقل منها إلى إيران وسوريا وجزيرة العرب والأناضول. وكان قسم من هذه البضائع ينقل إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط ومن هناك يذهب إلى أوروبا. كما أنَّ صادرات تلك الأقطار كانت تتجمع في البصرة لتنقل منها إلى الهند[2].

وعلى الزغم ممَّا سبق فإنَّ باشوات بغداد لم يفشلوا في بسط نفوذهم على الخليج فحسب، بل إنَّهم عجزوا عن حماية الملاحة فيه كذلك، كما فشلوا في حماية الملاحة في شط العرب نفسه. والأهم من هذا وذاك أنَّهم لم يوفروا للبصرة

---

(1) انظر عن تجارة البصرة وأهيمتها:
India Office, Marine Records, Vol. August 15, 1790, Report on Commerce of Arabia and, Persia by Samuel Monesty and Harford Johnes;
وهناك تقارير مهمة أخرى في:
J.A. Saldanha's, Selections from State papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events 1900- 1800, Bombay, Appendixes: F.G. H.G. A. Olivier, Voyage dans I'Egpte Ottoman, L'Egypte, et la Perise, Paris ix; J. B. Rousseau, Voyage de Bagdad a Alep, Paris, 1899; Abdul Amir Amin, British Interests in the Persian Gulf 1747-1778, (Unpublishedph. D. Dissertation, University of Maryland, 1962).

(2) كان الطريق الصحراوي بين العراق وسوريا من أهم طرق التجارة البرية في العالم. ويعرف الطريق الصحراوي الذي يربط البصرة بحلب مباشرة باسم «طريق الصحراء الكبيرة» وكانت هناك قوافل كبيرة جداً يضم البعض منها ما يقرب من الألف بعير تعبر هذا الطريق من البصرة وإليها في مواسم معينة من كل عام. انظر: =

ذاتها الحماية البحرية اللازمة من هجمات الإيرانيين وتحديات بعض رؤساء القبائل العربية الطموحين. ومن المدهش حقاً أن نرى باشوات بغداد الأقوياء الَّذين استطاعوا رد هجمات الإيرانيين على بغداد المرة تلو الأُخرى، والذين نجحوا من كسر شوكة القبائل العراقية القوية الشكيمة من عربية وكردية يقفون مكتوفي الأيدي أمام تهديد الإيرانيين للبصرة وتحديات أصغر القبائل العربية في الخليج. ولم يكن الاهتمام بأمور الخليج هو الذي ينقص باشوات بغداد، كما لم يكن يعوزهم إدراك لأهمية مصالحهم فيه، إنَّما الَّذي كانوا يفتقرون إليه هو وسيلة الدفاع عن تلك المصالح. فقد كان ينقصهم الأسطول القوي والخبرة البحرية اللازمة، فصار وضعهم في غاية الضعف في الخليج ونفوذهم في هذه المنطقة الحيوية محدوداً إن لم يكن معدوماً.

والحقيقة أنَّ العدة البحرية لم تكن مفقودة تماماً. فقد كان لدى باشوات بغداد أسطول يرابط في مياه شط العرب بصورة دائمية. وكان أمر الدفاع عن البصرة موكولاً إليه ضد أي تهديد، كما كان موكولاً إليه كذلك أمر حماية الملاحة في الخليج وشط العرب ودجلة والفرات[1].

= D. Carruthers, (ed). The Desert Route to India. Hakluyt Society, 1929; C. P. Grant, The Syrian Desert, London, 1937.

(1) كارستين نيبور: مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة 1765م، ترجمته عن الألمانية سعاد هادي العمري، (بغداد 1955) ص120.

ومن الناحية النظرية كان الأسطول يمثل جزءاً مهماً من قوَّة باشا بغداد العسكرية ولم يكن يتولى قيادته إلَّا ضابط ذو رتبة عسكرية عالية ويعرف باسم «القوبودان باشا». وكان هذا من الشخصيات البارزة والمهمة في البصرة، بل إنَّه كان يأتي بالمرتبة الثانية بعد المتسلم (حاكم البصرة)، وكانت للقوبودان دار متميزة تقع على شط العرب في قرية المناوي. وأمام هذه الدار تصطف قطعات الأسطول عادة[1]. ولكن هذا الأسطول كان في منتهى العجز فكانت سفنه محلية الصنع وصغيرة، كما كانت رديئة التركيب وضعيفة التسلح، وكان أغلبها يعود إلى صنف خاص من السفن يعرف (بالتكنات)[2].

أمَّا العاملون في الأسطول فكانوا على جانب قليل من الخبرة في شؤون السفن والملاحة. وللتدليل على ضعف هذا الأسطول يكفي أن نعلم بأنَّ سفنه لم تكن تجرؤ على تخطي مراسيها والتحرك في عرض الخليج لذا فليس من المستغرب بعد كل هذا أن نراه وقد فشل في كل المهام الموكولة إليه.

وحدثت في القرن الثامن عشر تطورات خطيرة في

---

(1) نفس المصدر ص130 والمناوي قرية تقع على شط العرب بين نهري العشار والخورة وأصبحت الآن جزءاً من مدينة البصرة بل إنَّها أكثر أجزاءها عمراناً.

(2) التكنات: سفن صغيرة مسلحة تتميز بقعرها المسطح المطلي بالقار.
انظر:
Lorimer, op. cit, Vol. 1, P. part 1, 1219.

الخليج العربي جعلت ضعف باشوات بغداد البحري يبدو في غاية الخطورة. أمَّا هذه التطورات فهي تزايد القوَّة البحرية للإيرانيين ولبعض قبائل الخليج العربية. وكانت هذه نتيجة لسياسة نادر شاه البحرية. فالإيرانيون الَّذين امتاز تاريخهم الحديث بعجزهم البحري وفقدانهم الأسطول الذي يتناسب مع عظمة الأمبراطورية الصفوية، التي حكمت إيران منذ بداية العصور الحديثة، حاولوا إصلاح الأمر وتدارك ما فات في عهد نادر شاه الفاتح الإيراني الكبير[1]. فقد شعر هذا النابغة العسكري، بعد أن حرر بلاده من الغزاة الأفغان وبعد أن ألغى الأسرة الحاكمة الصفوية وأقام أسرة حاكمة جديدة في إيران، شعر بضعف مركزه في الخليج فعمد إلى تأسيس أسطول إيراني قوي لم يكن للمنطقة به عهد من قبل[2].

بدأ نادر شاه اهتمامه بالأسطول حوالى سنة 1734م. ففي أوائل هذه السنة أرسل لطيف خان إلى ميناء بندر عباس وحمَّلَه رسائل إلى ممثلي شركتي الهند الشرقية الإنكليزية والهولندية يخبرهما فيها بأمر تعيينه لطيف خان قائداً للأسطول

---

(1) انظر عن حياة هذا الفاتح:

L. Lockhart, Nadir Shah London: 1938.

وهو أحسن ما كتب في الموضوع.

(2) L. Lockhart, «The Navy of Nadir Shah», Proceedings of the Iran Society, vol. 1, Part 1, London 1936.

الإيراني، وطلب فيها مساعدته لشراء سفينتين صالحتين من ميناء بندر عباس[1].

وفي صيف العام نفسه أصدر نادر شاه أوامره إلى لطيف خان بتوسيع بوشير، التي لم تكن حينئذٍ سوى قرية صغيرة على ساحل الخليج، ذلك لاتخاذها قاعدة للأسطول المزمع إنشاؤه[2]. وواصل نادر شاه ضغطه على موظفي شركتي الهند الشرقية الإنكليزية والهولندية لبيعه وإعادته بعض سفنهم. وأغلب سفن هاتين الشركتين أوروبية الصنع تتميز بضخامة الحجم ومتانة البناء وقوّة التسلح[3].

ففي تشرين الأول عام 1734م وصل مندوب إلى أصفهان حاملاً رسائل من نادر شاه إلى ممثلي الشركتين هناك يخبرهما فيها بضرورة قيام الإنكليز والهولنديين بتجهيز الإيرانيين بكل ما يحتاجونه من السفن المسلحة تسليحاً جيداً، وأن تكون هذه السفن على استعداد للتوجيه إلى أية جهة يوجهها الإيرانيون. وقد أخبر نادر شاه ممثلي الشركتين كذلك

---

(1) India office, Factory Becords, Persia and the Persian Gulf, Gombroon Diary, February 3, 1734.

(2) Gombroon Diary, July 5, 1734.

(3) هذه سفن تجارية في الأصل، ولكنّها كانت بصورة عامة مسلحة تسليحاً جيداً. وكانت تبنى بشكل خاص يمكن معه تحويلها بسهولة إلى سفن حربية عند الضرورة.

بأنَّ استجابة الإنكليز والهولنديين لرغبته هذه ستكون الضمان الوحيد لهم لنيل رضاه وعطفه. وقد رأى ممثلو الشركتين في مطلب نادر شاه شيئاً كثيراً من التعسف[1]، إلَّا أنَّ المصالح التجارية المهمة الَّتي كانت تربطهم مع إيران والَّتي جعلت من بندر عباس المقر التجاري الرئيسي لهم في الخليج العربي اضطرتهم إلى إمداد نادر شاه ببعض سفنهم.

وبدأ نادر شاه باكورة أعماله البحرية بمهاجمة البصرة سنة 1735[2]، ففي هذا العام استطاع لطيف خان قائد الأسطول الإيراني الدخول إلى مياه شط العرب على رأس أسطول صغير يتألف من ثلاث سفن من صنف «الغراب (Grab)»[3]، وعدد كبير من السفن الصغيرة من صنف «الترانكي (Trankis)[4]. وعندما

---

(1) Gombroon Diary, November 11, 1734.

(2) انظر عن هذه الحملة على البصرة:
Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Letters From Bussora, Gombroon, etc. Letters from French to London, dated June 5, 1735, Gombroon Daily, June 18/1735.

(3) الغراب (الگراب) كلمة عربية في الأصل، وكان هذا الصنف من السفن شائع الاستعمال خلال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر على سواحل مالابار والخليج العربي والبحر الأحمر. والواقع أنَّ هناك أنواعاً مختلفة من السفن منها الصغيرة ومنها الكبيرة تعرف بهذا الاسم. ولكن العادة أن يكون (الغراب) سفينة ذات ثلاث ساريات. راجع حبيب زيات، معجم المراكب والسفن في الإسلام، المشرق، بيروت 1949، ص254. انظر كذلك:
Saldanha, op cit, Appendix J.

(4) الترانكي نوع من السفن كان شائع الاستعمال جداً في الخليج العربي خاصة =

علم متسلم البصرة بهذا الغزو الإيراني طلب من مقيم شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة «مارتن فرينج (Martin French)» تسليمه السفينتين العائدتين إلى الشركة وهما «رويل جورج (Royal George)» و«دين (Dean) اللتين كانتا راسيتين في الميناء. وأظهر المقيم تردداً في الإجابة خوفاً من نقمة الإيرانيين وغضبهم، فصمد المتسلم إلى أخذ السفينتين عنوة ووضع فيهما جنوده ووجههما لمحاربة الإيرانيين. وقد استطاعت هاتان السفينتان ردّ الأسطول الإيراني على أعقابه. وهكذا أنقذت البصرة.

ولم يضع الفشل السابق نهاية لمطامع الإيرانيين ومغامراتهم في الخليج، ذلك لأنَّه في أوائل عام 1736م قام لطيف خان بمهاجمة البحرين واستطاع احتلالها في الوقت الذي كان فيه حاكمها العربي يؤدّي فريضة الحج[1]. وقد شجع هذا النجاح الإيرانيين على اتباع سياسة أكثر طموحاً

= في النصف الأول من القرن الثامن عشر وقد انقرض الآن. وكان يسير بالمجذاف والشراع معاً ويستخدم في الحرب والتجارة انظر:
Lorimer, op. cit, Vol 1, part 11, p. 2321.

(1) انظر عن الحملة الإيرانية على البحرين:
Gombroon Diary, June, 1736; Lorimer, op. cit, vol. 1, p. 837; Lockhart, Nadir Shah, pp. 108-9.

وانظر كذلك:
الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، (القاهرة 1342هـ) ص113 ـ 114 وهو مختصر جداً وغير دقيق.

وجرأة، بل ودفعهم إلى محاولة احتلال عمان وتأسيس سيادة إيرانية شاملة على المنطقة. وهذه المحاولة لها أهميتها الخاصة. وذلك لأنَّ عمان كانت أهم قوَّة محلية في الخليج العربي، وكان أسطولها أقوى أسطول محلي فيه خلال القرن السابع عشر[1]. وكثيراً ما هاجم العمانيون السواحل الإيرانية، فلم يستطع الإيرانيون رد الأذى عن أنفسهم. وعندما حاول البرتغاليون مساعدة الإيرانيين في نهاية القرن السابع عشر، شنَّ الأسطول العماني حرباً على البرتغاليين وهاجم مواقعهم في كل مكان، ولم تنج منهم كذلك مواقع البرتغاليين في الهند. وكان الإنكليز والهولنديون يخشونهم ويتجنبون القيام بأي عمل يثير إمام عمان ويستفزه. وبهذا يعتبر القضاء على قوَّة عمان البحرية واحتلالها نجاحاً كبيراً للإيرانيين يخلصهم من أقوى منافس لهم في الخليج ويضمن لهم سيادة بحرية لا منازع لها.

---

(1) انظر عن تاريخ عمان والدور الذي لعبته في الخليج خلال القرن السابع عشر:
نور الدِّين عبد الله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (القاهرة 1380هـ ـ 1961م):
Salil ibn Raziq, the History of the Imams and Seyyids of Oman, (Translated by G. P. Badger). London 1871.

ولم يستطيع الكاتب الاطلاع على الأصل العربي. وانظر كذلك:
Francis Warden, «Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muscat». Selection from the Records of the Bombay Government, No. XXIV, New Series, (Bombay; Bombay Education Socity's Press 1856).

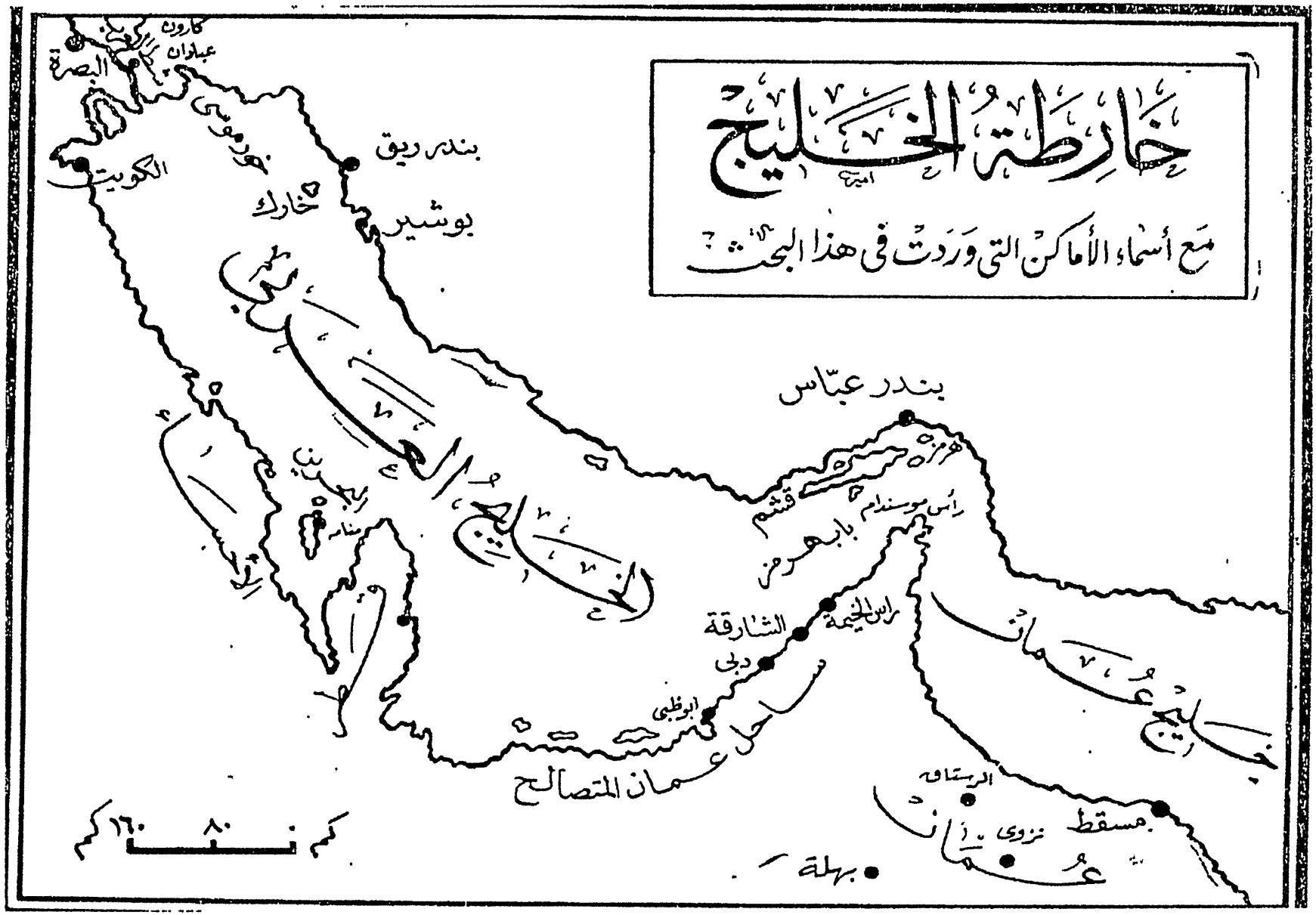
خارطة الخليج
مع أسماء الأماكن التي وردت في هذا البحث
البصرة
كارون
عبادان
خور موسى
الكويت
بندر ريق
بوشير
خارك
بندر عباس
هرمز
قشم
رأس موسندم
بابعو رمز
رأس الخيمة
الشارقة
دبي
ابوظبي
الساحل العمان المتصالح
الرستاق
مسقط
نزوى
عمان
بهلة
خليج عمان
كم ٨٠ ١٦٠ كم

لقد تهيأت الفرصة الذهبية للإيرانيين لاحتلال عمان عندما دعاهم إمام عمان سيف ابن سلطان عام 1737م لمساعدته ضد الثوار في بلاد. وكان سيف ابن سلطان ضعيف الإرادة خائر العزيمة سيىء الأخلاق[1].

وفي 14 مارت عام 1737م وصل أسطول إيراني من بوشير إلى بندر عباس تحت قيادة لطيف خان. وكان مؤلفاً من أربع سفن كبيرة و(غرابين) وأصناف أُخرى من السفن الصغيرة[2].

وفي 12 نيسان أبحر هذا الأسطول إلى خورفكان فأنزل فيها قسماً من الجيوش[3]، ثم أنزل البقية الأُخرى في جلفار[4]. حيث التقى لطيف خان بالإمام سيف بن سلطان وسارا معاً لمحاربة (بالعرب بن حمير) زعيم الثوار الذي خرج إليهم من نزوى، فاستطاعا دحره واحتلال عدد من مدن عمان المهمة[5]. ونشب خلاف بين لطيف خان وسيف بن سلطان

---

(1) السالمي: تحفة الأعيان، ج2 ص141 ـ 142، محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف: عمان تاريخ يتكلم (دمشق 1383هـ ـ 1963م) ص، 1962.

(2) Letters from Bussora, Gombroon, etc. Letters from the Agent to London dated May 6, 1737.

(3) السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص145.

(4) تقع جلفار على شاطىء عمان المتصالح وتبعد حوالى سبعين ميلاً غربي الشارقة وكانت هذه من المواقع المهمة في الخليج ولكنَّها اندثرت وبقيت آثارها.

(5) السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص145 ـ 147.

فاضطر إلى الرجوع إلى جلفار[1]. وعاد سيف بن سلطان إلى ظلمه وجوره الأمر الذي دفع أهل عمان إلى الثورة عليه مرة أُخرى[2]. وكرر دعوته إلى الإيرانيين للتدخل ضد الثوار.

وفي كانون الأول عام 1738م سارت القوات الإيرانية بقيادة ميرزا تقي حاكم إقليم فارس ولطيف خان قائد الأسطول الإيراني بصحبة قوات الإمام وأسطوله ضد بالعرب بن حمير[3] وقد استطاعت دحره واحتلت القوات الإيرانية على أثر ذلك مدينتي بهلا ونزوى، ثم توجهت صوب مسقط واحتلتها ولكن استعصى عليها احتلال القلاع التي كانت فيها[4]، ونشب خلاف بين ميرزا تقي خان وبين سيف بن سلطان، كما اختلف ميرزا تقي خان مع لطيف خان الأمر الذي دفع ميرزا تقي خان لدس السم إلى لطيف خان والتخلص منه[5].

وبعد هذا ساء وضع الإيرانيين، ففشل ميرزا تقي خان من احتلال صحار[6] وحلت كارثة بالحامية الإيرانية في بهلا حيث أبادها السكان[7]، وتمرد الملاحون العرب في

---

(1) Gombroon Diary, July 21, 1737.

(2) السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص149.

(3) Salil ibn Reziq, op. cit, p. 142, Gombroon Diary, April 8, 1738.

(4) Ibid.

(5) Gombroon Diary, June 26, 1778.

(6) السالمي: تحفة الأعيان ج2، ص152.

(7) نفس المصدر.

الأسطول الإيراني، ممَّا اضطر ميرزا تقي خان إلى الرجوع بجنده وأسطوله إلى جلفار.

ولم يفت هذا الفشل في عضد الإيرانيين، كما لم يصرف نادر شاه عن تصميمه في تأسيس السيادة الإيرانية البحرية على الخليج. ففي عام 1740م شرع نادر شاه في شراء عدد كبير من السفن في صورات في الهند[1]. حتى قيل إنه أوصى ببناء ما لا يقل عن إحدى عشرة سفينة لأسطوله في صورات. وفي عام 1741م تبنى نادر شاه مشروعاً طموحاً يقضي ببناء سفن الأسطول الإيراني في ميناء بوشير نفسه. ولعلَّ الذي دفعه إلى تبني هذا المشروع هو ما وجده من تلكؤ الإنكليز والهولنديين في تجهيزه بما يحتاجه من السفن من جهة وكثرة تكاليف السفن التي كان يبتاعها من صورات من جهة أُخرى. وأخيراً رغبته في جعل إيران مكتفية ذاتياً في بناء سفنها. ولقد استعان نادر شاه بشخص فرنسي ليتولى الإشراف على المشروع في بوشير، وبذل جهوداً كبيرة لإنجاحه[2]، ولكن صعوبات كثيرة حالت دون ذلك، في

---

(1) للسفن التي تبنى بصورات شهرة خاصة بالجودة والاستدامة والملائمة للظروف المناخية المختلفة، حتى قيل إنَّها تفوق جميع السفن الأوروبية في ذلك. ولعل خير وصف لسفن صورات يجده القارىء في:
J. S. Stavorinus's, Voyage to the East Indies, (Translated by S. H. Wilcocke), London: 1798, Vol 111 PP. 17-23.

(2) ولعلَّ من الطريف أن نذكر هنا أنَّ نادر شاه كان قد حاول بناء أسطول له في بحر قزوين كذلك، واستعان لتحقيق غرضه بأحد المغامرين الإنكليز (الكابتن جون التن (Cap, John Elton) انظر: =

مقدمتها عدم توفر الأخشاب الصالحة لبناء السفن. فمن المعروف جيداً أنَّ منطقة الخليج تفتقر إلى هذا النوع من الأخشاب. وقد دفع هذا النقص نادر شاه إلى محاولة نقل الأخشاب من غابات مازندران في الشمال على مسافة 600 ميل إلى بوشير. وكانت عملية نقل الأخشاب شاقة جداً، فلم تكن هناك طرق صالحة ولا وسائل ملائمة لهذه العملية، وإنَّما كانت الأخشاب تنقل على ظهور الرجال في أغلب الحالات[1]. وأخيراً اضطر نادر شاه إلى التخلي عن هذا المشروع بعد أن تبين له صعوبة العمل وكثرة التكاليف. وعاد إلى شراء السفن من صورات. وفي أوائل عام 1742م كان الأسطول الإيراني يضم خمس عشرة سفينة كبيرة وعدداً هائلاً من السفن الصغيرة[2].

وتجددت الثورة في عمان ضد سيف بن سلطان الذي خلعه النَّاس وبايعوا ابن عمه سلطان بن مرشد بالإمامة[3].

= J. Hanwy, an Historical Account of the British Trade over the Caspian Sea: With a Journal of Travels from London through Russia into Persia, etc. London, 1753.

وانظر أيضاً الدكتور عبد الأمير محمد أمين.
التنافس بين الشركات التجارية الإنكليزية في منطقة الخليج العربي والأقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة كلية الآداب العدد 6، سنة 1963م ص205 ـ 228.

(1) Lockhat, Nadir Shah, p. 214.

(2) Ibid.

(3) السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص150.

ولجأ سيف بن سلطان إلى الاستعانة بالإيرانيين مرَّة أُخرى، وفي 10 حزيران عام 1742م توجه الأسطول الإيراني حاملاً المعدات والجنود إلى جلفار استعداداً للحملة على عمان. واجتمع ميرزا تقي خان بسيف بن سلطان في جلفار وعقدا معاهدة بينهما نصَّت على قيام الإيرانيين بمساعدة سيف بن سلطان لاستعادة ملكه على أن يعترف بالسيادة الإيرانية على عمان لقاء ذلك. وسار ميرزا تقي خان وسيف بن سلطان متوجهين نحو صحار. وقد أنزل قسم من الجيش الإيراني لمحاصرة هذه المدينة، ثم توجهت الأساطيل صوب مسقط، وكانت هذه لا تزال بيد أنصار سيف بن سلطان. فدخل الإيرانيون المدينة دون مقاومة تذكر[1]. أمَّا صحار فقد قاومت الإيرانيين مقاومة عنيفة[2] بقيادة حاكمها أحمد بن سعيد البو سعيدي الذي قدر له فيما بعد أن يخلص عمان من الإيرانيين ويكون أسرة حاكمة في عمان لا تزال باقية حتَّى الوقت الحاضر والَّتي ينتمي إليها سلاطين مسقط الحاليين. وضاقت السبل بالإمام سلطان بن مرشد فحاول اختراق

---

(1) Lockhart, Nadir Shah, p. 216.
ويشك فيما أورده السالمي (تحفة الأعيان، ج2، ص152) من أنَّ مقاومة شديدة قام بها أهل مسقط ضد الإيرانيين.

(2) السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص152 ـ 153، وقد أعطى هذا المؤرخ العماني أرقاماً مبالغاً فيها عن عدد القوات الإيرانية المحاصرة لصحار وعدد السفن الإيرانية الَّتي اشتركت في العمليات.

صفوف الإيرانيين والالتحاق بأحمد بن سعيد في صحار. ونجح في الوصول إليها إلاَّ أنَّ الجراح الَّتي أثخنته لم تمهله فلاقى حتفه بعد أيَّام من وصوله إلى صحار[1].

واستمرت مقاومة أحمد بن سعيد مدة ثمانية أشهر كلفت الإيرانيين أكثر من 3000 قتيل. ولكن نفاد الذخيرة اضطرته إلى الاستسلام[2]. وأبدى تعاوناً مع الإيرانيين الأمر الَّذي أكسبه ثقة ميرزا تقي خان فأبقاه حاكماً على صحار. وأخيراً استيقظ ضمير سيف بن سلطان حين رأى بأُمِّ عينيه ما جرى على بلاده من النكبات، فانسحب إلى الرستاق مهموماً، وتوفي بعد أيَّام من وصوله إليها[3]. وهكذا تمكن الإيرانيون احتلال عمان والقضاء على استقلالها.

وجدد نادر شاه محاولته لاحتلال البصرة. ففي سنة 1743م أرسل أسطوله مع جيش قوامه اثنا عشر ألف رجل لضرب الحصار على المدينة واحتلالها[4].

---

(1) السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص154.
ومع أنَّ استسلام أحمد بن سعيد للإيرانيين من الأُمور الثابتة إلاَّ أنَّ السالمي يرى غير ذلك. وقد ذكر أنَّ الإيرانيين طلبوا الصلح والارتحال عن صحار بعد أن أعياهم أمرها واستحال عليهم احتلالها. انظر السالمي: تحفة الأعيان، ج2، ص154.

(2) Lockhart, Nadir Shah, p. 217.

(3) نفس المصدر: ج2، ص154.

(4) Lorimer, op cit, vil 1, part 1, p. 1119.

وعندما وردت أنباء تقدم الإيرانيين خشي المقيم الإنكليزي في البصرة أن تكرر سلطات المدينة ما فعلته سنة 1735م والذي سبقت الإشارة إليه، لهذا أصدر أوامره إلى جميع السفن الإنكليزية بعدم الاقتراب من البصرة ومغادرة مياه شط العرب في الحال.

ولم تبق في الميناء سوى سفينة إنكليزية صغيرة كانت تقوم ببعض الخدمات الخاصة للمقيم. فطلب المتسلم من الأخير إعارتها له، وعندما امتنع المقيم، قبض عليه واحتجزه، فاضطر إلى الإذعان وسلم السفينة. وحاصر نادر شاه البصرة، ولكن حصاره لم يطل فقد تمَّ التوصل إلى عقد صلح بين الأمبراطورية العثمانية ونادر شاه. فكان هذا سبباً في أن يرفع نادر شاه الحصار عن البصرة وسحب جيوشه وأسطوله. وهكذا نرى أنَّ الأسطول الإيراني قام بدور فعَّال في جميع أنحاء الخليج. والحقيقة أنَّ نادر شاه تمكن بفضل هذا الأسطول من فرض سيادة إيرانية على المنطقة فترة من الزمن.

ولكن نجاح الإيرانيين كان قصير الأمد ومحدوداً، فمنذ البداية أثبت الإيرانيون أنَّهم بحارة فاشلون، فقد كانت تعوزهم الخبرة في شؤون البحر وتنقصهم الرغبة في ركوب مخاطره. وقد أظهروا عجزاً ملحوظاً في إدارة شؤون الأسطول. ولعلَّ خير تعليل لعجز الإيرانيين في البحر هو ما

جاء به السير (برسي سايكس «Sir P. M. Sykes») أحد المهتمين بالتاريخ الإيراني فقد كتب «ليس هناك شيء يوضح لنا تأثير العوامل الطبيعية على ميول النَّاس وسلوكهم أحسن من النفور والكره اللذين يظهرهما الإيرانيون دائماً للبحر الذي تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة»[1].

لقد استخدم الإيرانيون عرب الخليج بحارة لأسطولهم. أمَّا قيادته فقد أسندت في أوَّل الأمر إلى ضباط إيرانيين عاجزين لم يركب البعض منهم البحر من قبل. ثم أسندت قيادته إلى بعض الضباط العرب في أواخر أيَّام نادر شاه. ومن الجدير أن نذكر هنا أنَّ عرب الخليج ملاحون ماهرون بفطرتهم، وأنَّ خبرتهم في البحر والسفن تضاهي خبرة أحسن الأُمم في ذلك.

ولم يستفد الإيرانيون كثيراً من استخدام العرب، الذين لم يشعروا بالولاء والإخلاص لهم، كما كان الضبط معدوماً عند هؤلاء العرب فقد كانت ثوراتهم مستمرة، منها تلك الثورة التي حدثت في الأسطول في نهاية عام 1739م والتي كاد الإيرانيون أن يفقدوا سيطرتهم على الخليج تماماً نتيجة لها[2].

وقد استعان الإيرانيون بالسفن الإنكليزية والهولندية

---

(1) Sir P. Sykes, History of persia, London: 1915, vol 11, p 366.

(2) Lockhart, Nadir Shah, p 184.

لإيصال الأغذية والإمدادات العسكرية إلى حامياتهم في جلفار وفي بعض الأماكن الأُخرى من الخليج. ومنها تلك الثورة الَّتي قامت في أيلول عام 1740م. فقد تمرد فيها العرب وقتلوا جميع من كان معهم من الضباط الإيرانيين وحملوا السفن بعيداً عن قواعدها، ممَّا اضطر السلطات الإيرانية إلى الاستعانة مرَّة أُخرى بالسفن الإنكليزية والهولندية لمطاردة المتمردين واستعادة السفن الإيرانية. ولعلَّ من الطريف أن نذكر هنا تعليق وكيل شركة الهند الشرقية الإنكليزية في بندر عباس على الحادث. فبعد أن وصفه بالتفصيل أضاف قائلاً:

«إنَّنا نعتقد أنَّ مشروع جلالته (نادر شاه) لبناء الأسطول، سيفشل برمته إذا لم يعلِّم هؤلاء العرب الطاعة. فعلى هؤلاء العرب وحدهم يتوقف نجاح المشروع، أمَّا الإيرانيون فإنَّهم كارهون للسفن ونافرون منها، كما أنَّهم جاهلون بأُمور البحر. وهذه في الحقيقة كلها أُمور تحتمها عليهم طبيعة بلادهم»[1].

إنَّ تمرد العرب المستمر كان من غير شك سبباً في شل الأسطول الإيراني وتقليل أهميته. ثم إنَّ مشاكل نادر شاه الكثيرة في أواخر أيَّامه والثورات العديدة الَّتي نشبت ضده حالت بينه وبين الاستمرار في رعاية أسطوله الحبيب والاهتمام بشؤون الخليج. ومن الثورات الَّتي أثرت تأثيراً

---

(1) Combroon Diary, September 14, 1740.

سيئاً على وضع الإيرانيين في الخليج ثورة ميرزا تقي خان حاكم إقليم فارس ضد نادر شاه في نهاية عام 1743م والّتي كلفت نادر شاه جهوداً كثيرة لقمعها. وما كاد ينتهي من إخمادها حتى كانت الحرب بينه وبين الأمبراطورية العثمانية قد اشتدت، فصرفته هذه الأحداث عن الاهتمام بالأسطول. وقد ساءت حالة الحاميات الإيرانية في عمان وقلّت المؤن والذخيرة ودبَّ الضجر واليأس في قلوب الضباط والجنود الإيرانيين هناك. ووجد أحمد بن سعيد حاكم صحار الظروف مهيأة له لإعلان الثورة وتخليص بلاده من نير الإيرانيين. وقد استطاع تحرير الساحل العماني بين صحار ومسقط في أول الأمر، ثم مدَّ نفوذه إلى جميع أنحاء هذا الساحل باستثناء جلفار وبعض المناطق الصغيرة المجاورة لها، فقد بقيت هذه تحت النفوذ الإيراني لعدد آخر من السنين. وبويع أحمد بن سعيد بالإمامة بعد أن حقق هذه الانتصارات الرائعة. وبعد سنين قليلة من عقد الإمامة له تمكن من بسط نفوذه على جميع الأنحاء الداخلية في عمان، كما استطاع القضاء على جميع منافسيه. وهكذا استعادت عمان حريتها واستقلالها. وازدادت غنى وقوَّة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ولعبت دوراً مهماً في تاريخ الخليج العربي.

لقد أهمل الأسطول الإيراني إهمالاً مطلقاً قبيل وفاة نادر شاه، ودبَّ الخراب في كثير من قطعاته. وفي الوقت

الذي مات فيه نادر شاه عام 1747م كان الأسطول الإيراني موزعاً بين ميناءي بندر عباس وبوشير. الأول في بندر عباس بقيادة ضابط عربي اسمه ملا علي شاه والآخر بقيادة ضابط عربي آخر هو شيخ وحاكم بوشير.

إنَّ ظهور الأسطول الإيراني على مسرح الحوادث كان له أثر كبير في تاريخ الخليج أثناء حياة نادر شاه وبعد وفاته، ففي الحالة الأولى رأينا كيف استطاع الإيرانيون فرض سيادتهم على الخليج لأوَّل مرَّة في تاريخ العصور الحديثة. أمَّا بعد وفاته فقد قام هذا الأسطول بدور مهم آخر. ففي وسط الحرب الأهلية والفوضى التي سادت إيران بعد تلك الوفاة عمد كل من شيخ بوشير وملا علي شاه إلى الاستحواذ على ما بإمرته من السفن واستخدامها لتحقيق أغراضه الخاصة، وذلك بمحاربة بقية القبائل العربية وتقوية نفوذه في المنطقة. وخوفاً منهما راحت بقية القبائل العربية الأُخرى تعزز أساطيلها وتكثر من بناء السفن. والواقع أنَّ النصف الثاني من القرن الثامن عشر شهد ثورة من تزايد القوَّة البحرية للقبائل العربية المختلفة في الخليج. وكان لهذه الثورة أثرها البالغ على تأريخ الخليج بصورة عامة والبصرة بصورة خاصة.

ومن المدهش حقاً، أنَّ مشاريع نادر شاه البحرية وتهديده المستمر للبصرة لم تحرك همم باشوات بغداد ولم تدفعهم إلى تعزيز أسطولهم وتقويته لدرء الخطر. كما أنَّ وفاته

لم تثر فيهم روح الطموح لملء الفراغ الذي تركه في المنطقة، لقد ترك باشوات بغداد هذه الفرصة تفلت من أيديهم واستفاد منها آخرون، فكانت العاقبة وخيمة بالنسبة لهم، كما سنرى.

ففي منطقة بندر عباس قام ملا علي شاه بدور مهم إذ أعلن نفسه حاكماً لميناء بندر عباس وعقد عدداً من المحالفات مع بعض القبائل العربية في الخليج، واشتبك بسلسلة من الحروب مع البعض الآخر منها، ووصف الأسطول الذي كان تحت قيادة ملا علي شاه عند وفاة نادر شاه بأنَّه كان يضم أربع سفن كبيرة في حالة جيدة وعدداً آخر من السفن الكبيرة كان قد دبَّ فيها الخراب، ولم تعد صالحة للاستعمال، كما كان يضم عدداً كبيراً من (الترانكي) وأصنافاً من السفن الصغيرة الأُخرى[1].

وفي عام 1751م تصاهر ملا علي شاه مع قبائل القواسم[2]، وذلك بأنَّ زوَّج إحدى بناته للشيخ رحمة بن مطر

---

(1) Gombroon Diary, September 8, 1747.

(2) القواسم أو (الجواسم) اسم عام أطلق على جميع القبائل العربية الَّتي كانت ساكنة على طول ساحل عمان الشمالي الغربي الَّذي كان معروفاً بساحل القراصنة والَّذي سمي بعد ذلك بالساحل العماني المتصالح. وقد أبدت هذه القبائل نشاطاً ملحوظاً في أواخر أيَّام نادر شاه. ولعبت دوراً مهماً في الخليج بعد وفاته خاصة في المناطق القريبة من بندر عبَّاس. وعرف عن هذه القبائل شدَّة مقاومتها للنفوذ الإنكليزي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

أحد شيوخ هذه القبائل البارزين. وكان لهذه المصاهرة أهمية خاصة، إذ كانت بداية لتحالف مديد بين قائد الأسطول الإيراني وهذه القبائل النشطة. وقد أصبح في مقدور القواسم نتيجة لهذا التحالف الاستفادة من الأسطول الإيراني واستخدامه ضد خصومهم ومنافسيهم في الخليج العربي. وكان هذا سبباً مهماً لازدياد قوَّة هذه القبائل وعاملاً ممهداً للدور الخطير الَّذي قامت به في الخليج العربي في نهاية القرن الثامن عشر وبدُاية القرن التاسع عشر.

وفي أوائل عام 1752م باغت ناصر خان ـ الحاكم الوراثي لإقليم لار الإيراني والَّذي كانت عائلته تدعي حق السيادة على بندر عبَّاس ـ باغت هذا ملا علي شاه فاحتل بندر عبَّاس واستولى على الأسطول الإيراني برمته، وأسر ملا علي شاه نفسه. وقد حمله معه إلى لار، وعين حاكماً جديداً لميناء بندر عبَّاس كما أوكل لشخص آخر أمر قيادة الأسطول الإيراني[1].

ولم يطل غياب ملا علي شاه عن بندر عبَّاس، فقد فشل القائد الجديد للأسطول الإيراني في تدبير شؤون الأسطول، فاضطر ناصر خان إلى إعادة ملا علي شاه إلى بندر عبَّاس

---

(1) India office, Bombay public consultation, vol 19, Letter from Gombroon June, 22, 1753.

حاكماً للميناء وقائداً للأسطول «إذ لم يكن هناك من يستطيع القيام بهذه المهام غيره». ولقاء هذا اعترف ملا علي شاه للخان بالسيادة وتعهد له بالطاعة[1]. ولكن ما أن وصل إلى بندر عبَّاس واستعاد سيطرته على الأسطول حتَّى تجاهل اعترافه وتعهده. وأخيراً عندما أمره الخان في تشرين الأول عام 1753م بتسيير الأسطول ضد عرب البحرين واحتلال أراضيهم رفض ملا علي شاه إطاعة هذه الأوامر وأعلن تمرده واستقلاله.

ثم اتخذ للأمر عدته باحتلال جزيرة هرمز القريبة من بندر عبَّاس وترميمه قلعتها لتكون حصناً له في حالة هجوم ناصر خان على بندر عبَّاس، إلاَّ أنَّ الظروف قد أمنته شر اعتداء ناصر خان عليه لانشغال الأخير بحرب كريم خان ـ الَّذي سطع نجمه كأقوى المتنافسين على العرش الإيراني منذ أوائل العقد السابع ـ وبذلك شلت يد ناصر خان وأمن ملا علي شاه اعتداءه على مدينته. وما أن اطمئن ملا علي شاه إلى سلامة وضعه، وتأكد من انصراف ناصر خان عنه حتَّى عاد إلى محاربة خصومه من رؤساء القبائل العربية في الخليج متعاوناً بذلك مع حلفائه القواسم.

ففي عام 1755م قاد ملا علي شاه وصهره شيخ رحمة

---

(1) Ibid.

حملة ضد جزيرة قشم موطن قبيلة بني معين. وقد حاصر المهاجمون «لافت» المقر الرئيسي لعبد الشيخ زعيم قبيلة بني معين. ودافع عبد الشيخ ـ الَّذي تجاوز عمره الثمانين عاماً ـ دفاعاً مجيداً عن الجزيرة. وتوفي بعد ستة أشهر من المقاومة العنيفة، فاضطر أتباعه إلى الاستسلام[1].

وقد عزز هذا النصر مركز ملا علي شاه وشيخ رحمة وجعلهما سيدين مطلقين على منطقة مهمة في الخليج العربي تضم بندر عباس وجزيرة هرمز وجزيرة قشم ورأس الخيمة[2]، وبعض أماكن صغيرة أُخرى. والواقع أنَّهما تمتعا بسيادة بحرية في هذه المنطقة من الخليج العربي ولم يكن ينافسهما فيها سوى أحمد بن سعيد إمام عمان. لهذا كانت الحرب سجالاً بينهما وبين الإمام بين سنة 1755م وسنة 1760م لإحراز السيادة البحرية المطلقة على المنطقة.

وفي عام 1760م تعرض ملا علي شاه وصهره شيخ

---

(1) Edward Ives, A voyage from English to India: Also, A. Journy from Persia to England, by and Unusual Route (London: 1773), pp 200-201.
وعندما زار هذا السائح الخليج عام 1758م وجد النَّاس لا يزالون يتذكرون شجاعة عبد الشيخ وبطولته.

(2) رأس الخيمة المقر الرئيس لقبائل القواسم على الشاطىء المتصالح وتبعد عن الشارقة حوالى سبعين ميلاً، وتقع غربي اطلال الجلفار. وقام البرتغاليون بهدم رأس الخيمة منذ القرن السادس عشر، كما هاجمها الإنكليز مرات عديدة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

رحمة لخطر داهم. فقد ثار أهل هرمز في أوائل العام المذكور على ملا علي شاه، ونجحوا في الاستيلاء على القلعة وأسروا ملا علي شاه واحتجزوه فيها، كما نجح الثوار في الاستيلاء على إحدى سفن أسطوله المسماة (فائز رباني) حيث كانت راسية هناك[1]. وكانت هذه السفينة والأخرى المسماة (رحماني) والتي كانت راسية في «لافت» عند نشوب الثورة هي كلّ ما تبقى من سفن الأسطول الإيراني الكبيرة.

وعندما وصلت أنباء ثورة هرمز إلى بندر عباس ثار الجنود الذين كانوا في الميناء وكان أغلبهم من أهل هرمز واستولوا على القلعة في المدينة. وحدث أن كان أحد أشقاء ناصر خان قريباً من بندر عباس، فانتهز هذه الفرصة فوجه جنوده نحو المدينة واستولى عليها وأعلن نفسه حاكماً عليها باسم أخيه[2].

ولم يقف القواسم مكتوفي الأيدي أمام هذه المصائب التي حلت بحليفهم، بل أسرعوا إلى هرمز بأسطول مؤلف من (الرحماني) وعدد كبير من السفن الصغيرة، لإخماد الثورة وتخليص ملا علي شاه من أيدي الثوار. ولم يستطع القواسم اقتحام القلعة في هرمز فاضطروا على الرجوع إلى قشم[3].

---

(1) Gombroon Diary, February 18, 1760.

(2) Ibid.

(3) = Ibid.

وهنا انتفضت قبيلة بني معين برئاسة الشيخ عبد الله وهو ابن أخ عبد الشيخ محاولة استرجاع قشم والانتقام من مغتصبيها القواسم. وتحالف الشيخ عبد الله مع حاكم بندر عباس الجديد ومع أهل هرمز وأقنعهما بتسليمه السفينة (فائز رباني) لضمها إلى أسطول قبيلته لمحاربة عدوهم المشترك. وقاد الشيخ عبد الله أسطوله ضد قشم، ولكن القواسم كانوا قد استعانوا بإمدادات من رأس الخيمة كما ساعدهم حسن استخدامهم للرحماني على الحيلولة دون اقتراب الأسطول المهاجم منهم. واستطاعوا بمدافع سفنهم أن يردوا أسطول الشيخ عبد الله خاسئاً على أعقابه ويلاحقوه حتى هرمز[1].

ولم يستسلم الشيخ عبد الله لهذا الفشل، بل قرر مواصلة الحرب وتوجه على ظهر (الفائز رباني) إلى مسقط محاولاً الحصول على مساعدة إمام عمان ضد القواسم[2]. وفي خلال رحلة الشيخ عبد الله إلى مسقط حدث تطور جديد، فقد استطاع ملا علي شاه في شهر حزيران الفرار من هرمز والوصول سالماً إلى قشم. وما أن وصل إلى هذه الجزيرة

= من الجدير بالملاحظة أنَّ هناك قلاعاً في جميع الأماكن المهمة من الخليج. وقد بنى البرتغاليون هذه القلاع خلال القرن السادس عشر ولا يزال بقاياها قائماً حتى الوقت الحاضر.

(1) Gombroon Diary, May 1, 1760.

(2) Gombroon Diary, May 1, 1760.

حتى قاد أسطولاً مؤلفاً من (الرحماني) وعدد من (الترانكي) متوجهاً إلى بندر عباس. وضرب حصاراً حول الميناء واستولى على كثير من القوارب العائدة له. ثم دخل المدينة ونهب دورها ولكنَّه لم يستطع اقتحام القلعة فاضطر إلى الرجوع إلى قشم[1]. وبعد أيَّام عاد الشيخ عبد الله من مسقط وقد أرسل معه الإمام أسطولاً صغيراً مؤلفاً من (غراب) صغير وثلاث سفن صغيرة أُخرى[2]. وقاد الشيخ عبد الله أسطول الإمام هذا (والفائز رباني) متوجهاً إلى قشم ولكن نيران مدافع (الرحماني) والسفن الصغيرة الأُخرى المدافعة عن الجزيرة ردت الأسطول المهاجم على أعقابه[3]. واستمرت المناوشات والمصادمات بين أساطيل الأطراف المتنازعة أشهر عديدة لم يستطع خلالها أي فريق إحراز نصر حاسم.

جاء في سجلات شركة الهند الشرقية الإنكليزية أنَّه وصل إلى بندر عباس في تشرين الثاني 1760م وفد من إمام عمان لإجراء مفاوضات مع الأطراف المتنازعة ووضع حد للحرب الدائرة بينهم[4]. وقضى الوفد عدة أسابيع لم ينجح خلالها من إحلال السلام بين الجهات المتنازعة إلَّا أنَّه وفق

---

(1) Gombroon Diary, May 17, 1760.

(2) Factory Records, Letter from Bussora, Gombroon, etc. Letter from Gombroon, August 5, 1760.

(3) Ibid.

(4) Gombroon Diary, November 26, 1760.

في عقد صلح بين القواسم وإمام عمان. ورجع الوفد إلى مسقط في أواخر عام 1760م[1].

واستمر الصراع بين ناصر خان وبني معين من جهة وبين القواسم وملا علي شاه من جهة أُخرى خلال عامي 1761م، و1762م. وقد استطاع القواسم خلال هذين العامين دحر قوات ناصر خان مرات عديدة واحتلوا أماكن متعددة على الساحل الإيراني كان ناصر خان يدعي حق السيادة عليها. وتتضاءل المعلومات عن تطور الأحداث في هذه المنطقة من الخليج العربي بعد عام 1762م. وقد وصف نيبور الوضع في عام 1765م بقوله[2]: «إنَّ بندر عباس خاضعة لناصر خان وهو أحد أتباع كريم خان ـ الَّذي أصبح سيِّد إيران المطلق في هذا الوقت ـ وإنَّ هرمز خاضعة لملا علي شاه الذي كان يحكم جزءاً من جزيرة قشم، ويحكم شيخ القواسم الجزء الباقي منها».

لقد أثرت الحرب بين القبائل العربية في منطقة بندر عباس تأثيراً سيئاً على تجارة الميناء. ثم إنَّ الأطراف المتنازعة لم تتردد في مهاجمة السفن التجارية والقيام بأعمال القرصنة. ودفع هذا الأمر الكثير من هذه السفن إلى تجنب

---

(1) Gombroon Diary, December, 15, 1760.

(2) Carsten Niebuhr, Travel through Arabia and other countries in the East (Translated into English by Robert Heron), Edinburgh, 1792.

الميناء والابتعاد عنه. فاضطر التجار إلى مغادرة المكان إلى موانىء أُخرى من الخليج. وكان للبصرة النصيب الأوفر منهم. وترك الهولنديون ميناء بندر عباس واتخذوا جزيرة خارج مقراً رئيساً لهم في المنطقة، بعد أن أحكموا تحصينها وتقويتها. كما ترك الإنكليز ميناء بندر عباس عام 1763م وجعلوا البصرة المقر الرئيسي لتجارتهم في الخليج.

وهكذا ازدادت أهمية البصرة التجارية وتطلب الأمر من حكَّام العراق بذل جهود كبيرة لحماية الملاحة في الخليج العربي وشط العرب محافظة على مركز البصرة التجاري وإبقاءً على ازدهارها وانتعاشها. أمَّا مدى نجاح حكَّام العراق في هذا المجال فهو موضوع البحث في الفصول الآتية.

الفصل الثاني

ازدياد قوَّة القبائل العربية في الخليج العربي

ازدياد قوَّة القبَائل العربية في الخليج العربي

في الوقت الذي ازدادت فيه أهمية البصرة التجارية، على أثر تدهور ميناء بندر عباس، كثرت فيه فعاليات القبائل العربية في الأماكن القريبة منها، مثل بوشير وبندر ريق وخارج. وقد ظهر في هذه الأماكن رئيسان عربيان بأمرة كل منهما أسطول قوي. وهذان الرئيسان هما مير مهنا وشيخ سلمان (أو سليمان) رئيس قبيلة بني كعب.

أمَّا مير مهنا فهو ابن مير ناصر[1] حاكم جزيرة خارج

---

(1) C. Niebuhr, Travel Through Arabia and other Countries in the East, (Translated into English by Rabert Heron. Edinburagh: 1792, p 130.
لقد ترك لنا هذا السائح وصفاً ممتعاً ومهماً للقبائل العربية في الخليج العربي. وذكر لنا بشيء من التفصيل أسماء رؤساء هذه القبائل وأسرهم وعلاقة بعضهم ببعض. وتميَّز من بين جميع السياح الذين زاروا المنطقة خلال القرن الثامن عشر بدقة الملاحظة وغزارة العلم. وكان أكثرهم إدراكاً للدور المهم الذي يلعبه العنصر العربي في الخليج. وقد أبدى إعجاباً خاصاً بالعرب وبالخلق العربي.

وميناء بندر ريق القريب منها[1]. وامتاز مير مهنا بالجرأة الفائقة كما اتصف بالقسوة والعنف، يكفي أن نذكر هنا أنَّه تجرأ وهو لا يزال يافعاً على قتل أبيه الشيخ وأعقب عمله المشين هذا بقتل أخيه الأكبر مير حسين وعدداً آخر من أفراد عائلته[2]. وقد نجح مير مهنا في جمع نفر من المغامرين والقراصنة تحت إمرته، وبهؤلاء المغامرين وبما كان تحت إمرته من سفن شنَّ مير مهنا حرباً على جميع من يحيطون به.

فمنذ أوائل العقد السادس من القرن الثامن عشر، كانت الحرب سجالاً بينه وبين الشيخ ناصر حاكم بوشير وحليفه كريم خان. ثم اصطدم مير مهنا بالإنكليز، وذلك عندما اتخذ هؤلاء بندر ريق مقراً تجارياً لهم. وكان مير ناصر قد وافق

---

(1) خارج جزيرة صغيرة في الخليج العربي تقع على بعد 35 ميلاً شمال غربي ميناء بوشير. أمَّا بندر ريق فهو ميناء صغير يقع على بعد 30 ميلاً تقريباً إلى الشمال من جزيرة خارج.

(2) وقد وصفه نيبور قائلاً: «دفع خدمه إلى قتل أبيه أمام عينيه، لأنَّه كان يفضل أخاه الأكبر عليه. وقتل أُمّه لأنَّها لامته على جريمته، وتسبب في قتل أخيه وستة عشر شخصاً آخر من أقربائه كي يجعل من نفسه سيِّداً مطلقاً لإمارته الصغيرة. وأغرق اثنتين من أخواته لأنَّ أميراً مجاوراً طلب يد إحداهن. وقتل جميع من ولد له من الإناث. وفي عام 1765م كان هذا الوحش لا يزال دون الثلاثين من العمر». انظر:
Niebuhr, op. cit, Vol 11, pp. 146-7; A Chronicle of the Carmelites in Persia and the Papal Mission of the Xv 11 th and Xv 111 th centuries, London: 1939, vol 11, pp. 1208-9.

على أن يتخذ الإنكليز هذه الخطوة بل شجعهم عليها[1]. وقد عينت شركة الهند الشرقية «فرنسيس وود F. Woud» عام 1754م مقيماً لها في بندر ريق[2].

وقبل أن يصل وود مقر عمله، قتل مير مهنا أباه مير ناصر وحلَّ محله في حكم الميناء[3]. ولكن مير مهنا لم يستطع الاحتفاظ بالحكم، فقد تمكن أخوه مير حسين بمساعدة الهولنديين ـ الذين كانوا كما أوضحنا قد اتخذوا من جزيرة خارج التي تعود إلى نفس العائلة مقراً لهم في الخليج ـ تمكن من تنحية مير مهنا والاستيلاء على الميناء[4]. وعندما وصل وود إلى بندر ريق في نيسان عام 1755م وجد الميناء في قبضة مير حسين. وقد رحب هذا بوود ترحيباً حاراً وسمح له في الحال في بناء دار للمقيمية الإنكليزية ووعده بتقديم كل المساعدات والامتيازات التي يرغب الإنكليز فيها[5].

وأثار موقف مير حسين الودي من الإنكليز حفيظة أصدقائه الهولنديين فقد رأى هؤلاء في مجيء الإنكليز إلى بندر ريق تهديداً للمصالح الهولندية في هذا الجزء من الخليج

---

(1) Bombay Public Consultation, vol 19, October 4, 1734.

(2) Ibid.

(3) Abdu Amir Amin, op. cit, p 60.

(4) Ibid, 61.

(5) Gombroon Diary, August 21, 1735.

الذي كانوا يحاولون احتكار التجارة فيه. وأخذ الهولنديون يتعاونون مع مير مهنا في التآمر ضد مير حسين[1]. وعندما أحس وود بأنَّ مير مهنا يبيت شراً لأخيه وللإنكليز فرَّ إلى البصرة تاركاً دار المقيمية في بندر ريق في عهدة بعض الحراس وقد أوصاهم بالإبقاء على العلم الإنكليزي مرفوعاً فوق دار المقيمية[2]. ولم يلق فرار وود إلى البصرة قبولاً من رؤسائه فاضطر إلى الرجوع إلى بندر ريق. ووصلها في تموز عام 1756م، فوجد مير مهنا قد قتل مير حسين وهدم دار المقيمية الإنكليزية وأنزل العلم الإنكليزي[3]. ولم يجد إلحاح وود وتوسلاته نفعاً فقد أصر مير مهنا على عدم السماح للإنكليز بإعادة بناء دار المقيمية، بل إنَّه لم يكف عن مضايقة المقيم الإنكليزي بمختلف الوسائل[4] وأخيراً في تشرين الثاني أرسل مير مهنا رجاله حيث كان وود مقيماً وطلبوا إليه مغادرة الميناء خلال نصف ساعة، وإلاَّ تعرض هو وجماعته إلى أعظم الأخطار. فهرع وود إلى الشاطىء والتجأ إلى ظهر إحدى السفن الإنكليزية التي كانت راسية هناك. وقضى وود بضعة أيَّام على ظهر السفينة حيث حاول عبثاً خلالها إقناع مير

---

(1) Ibid, July 4, 1736.

(2) Ibid.

(3) Ibid. December 4, 1736.

(4) Ibid.

مهنا بالسماح له بالرجوع إلى الميناء. وأخيراً غادر بندر ريق إلى بندر عباس[1]. وهكذا فشل الإنكليز بسبب مير مهنا في تأسيس مقر لهم في هذا الجزء من الخليج العربي. وكان هذا الفشل عاملاً مهماً في الحد من نفوذ الإنكليز في منطقة الخليج خلال القرن الثامن عشر.

ولم يستفد الهولنديون كثيراً من إبعاد الإنكليز عن بندر ريق إذ سرعان ما تجدد النزاع بينهم وبين مير مهنا. والواقع أنَّ الأخير دخل في صراع مستميت مع الهولنديين، وعلى الرغم من ضخامة التحصينات[2] التي أقامها الهولنديون على هذه الجزيرة، فقد استطاع مير مهنا بعد سلسلة من المحاولات الفاشلة، احتلال الجزيرة في النهاية وذلك سنة 1766م[3] وبهذا يكون هذا العربي المغامر قد قضى على نفوذ

---

(1) Ibid.

(2) انظر عن هذه الاستحكامات:
Ives, op. cit, 209-216; Gombroon Diary, letter from wood to the Agency dated, May 3, 1736.

(3) كان مير مهنا قد استولى على بعض السفن الهولندية في تشرين الثاني عام 1765م. ثم أنزل رجاله في جزيرة خارج وحاصر القلعة لمدة تسعة أيَّام حتَّى اضطرت حاميتها إلى الاستسلام في اليوم الأول من الشهر الأول عام 1766م. وكان عدد الأسرى الهولنديين بضع مئات، سمح لهم الاحتفاظ بما عليهم من ثياب وانتزع منهم كل شيء آخر. وأرسلوا بالقوارب إلى بوشير ومن هناك نقلتهم سفينة هولندية إلى باتافيا، المقر الرئيسي لشركة الهند الشرقية الهولندية. وكانت الغنائم التي حصل عليها مير مهنا هائلة =

الهولنديين ووجودهم في منطقة الخليج إلى الأبد، بعد أن بقوا فيها مدة قرن ونصف. وأصبح مير مهنا بعد هذا النصر قوَّة رهيبة تخيف القبائل العربية الأُخرى والإيرانيين وحكَّام العراق والإنكليز على حدٍّ سواء[1]. وأصبحت الملاحة في الخليج تحت رحمة هذا المغامر الذي لم تكن الرحمة لتجد إلى قلبه سبيلاً. وكانت الأضرار التي سبَّبها مير مهنا إلى تجارة البصرة فادحة وبدلاً من أن يحاول باشوات بغداد حماية مصالحهم الحيوية في الخليج وإيقاف مير مهنا عند حدِّه فإنَّهم وقفوا أمامه مكتوفي الأيدي كمن لا حول له ولا قوَّة، وتركوا لغيرهم معالجة أمره. وكان كريم خان قد أصبح في هذا الوقت سيِّد إيران المطلق بعد أن قضى على جميع منافسيه من المدعين بالعرش الإيراني، فحاول القضاء على مير مهنا. وقد تعاون مع الإنكليز لتحقيق ذلك. وقامت بين سنة 1765 و1767م قطعات قوية من أسطول شركة الهند الشرقية تساندها قوات إيرانية برية كبيرة بمحاربة مير مهنا، ولكن مهارة الأخير وحيويته وشجاعته واستماتة رجاله وقوَّة سفنه من جهة

= فقد قيل إنَّها بلغت 200 مدفعاً وكميات كبيرة جداً من الذخائر، أمَّا الأموال والبضائع فقد كانت جسيمة، حتَّى أنَّها قدرت بثلاثة ملايين روبية. انظر:
A Chronicle of the Carmelites in Persia, Vol 11, p 1095; Niebuhr, op. cit, Vol 11, pp 130-131.

(1) Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 16, November, 30, 1765; Bombay Public Consulation, Vol 31, July 7, 1768.

والخلافات وسوء الظن المتبادل بين الإنكليز وحلفائهم الإيرانيين من جهة أُخرى مكّن مير مهنا من رد المهاجمين على أعقابهم المرة بعد الأُخرى.

وخدم الحظ أعداء مير مهنا، فقد قام أتباعه بالثورة عليه، وذلك لاستبداده وتعسفه. ونجا مير مهنا بنفسه بأعجوبة من أيدي الثوار، وفرَّ إلى البصرة فما كان من سلطات المدينة هناك إلاَّ أن قبضت عليه وانتقمت لنفسها منه. فقتلته وسحب جسمه في الشوارع[1].

ولم يضع القضاء على مير مهنا حداً لمشاكل حكّام العراق آنذاك ومتاعبهم، فقد كان هناك أمامهم رئيس عربي آخر أكثر من مير مهنا طموحاً وأعز نفراً. وهذا هو الشيخ سلمان رئيس بني كعب[2]. ويختلف هذا عن مير مهنا بأنَّه لم يكن من

---

(1) Ibid, Vol 32, Letter from Bushire dated, February 4, 1769.

انظر كذلك:

A Chronicle of Carmelites in Pearsia, Vol 11, pp 1208-9.

وقد وصل البصرة 14/ 2/ 1965م.

(2) للاطلاع على تاريخ هذه القبيلة المهمة والطبيعة الجغرافية لمناطق سكناها، انظر:

P. Teixeira, The Travel of pedro Teixeira, with His «Kings of Harmuz», and extracts from His Kings of persia.

Hakluyt Society, 1902; Pietro Della Valle, The Travels of Sig. Pietro della Valle into East-Indies and Arabia Deserta, 1655.

Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 16.

= Letter from Henry Moore to London, dated April 9, 1767.

القراصنة الذين لا همَّ لهم سوى السلب والنهب، بل كان زعيماً طموحاً وقائداً محنكاً وحاكماً مصلحاً بكل ما في هذه الكلمات من معانٍ.

تولى الشيخ سلمان زعامة بني كعب حوالى سنة 1737م، وكانت قبيلته تسكن حينئذٍ الجزء الجنوبي الغربي من حوض نهر كارون. وكان مقر القبيلة الرئيسي يقع في محل يعرف بقوبان[1]. ومن الأُمور الثابتة أنَّ منطقة سكنى هذه القبيلة كانت تابعة للبصرة في ذلك الوقت[2]. واستفاد الشيخ

H. C. Rawlinson, Memorandum on the Dispute Between Turkey and Persia, 1844. =

Sir A. H. Layard, «Describtion of the province of khuziston», 1846.

W. F. Ainsworth, A Personal Narrative of the Euphrates Expedition, 2 vols. London 1888.

G. N. Curzon Persia and the Persion Question, 2 vols. London, 1892; Lorimer, op. cit, vol 1, Part 11.

(1) إنَّ معالم هذا المَكان قد انطمست الآن. ويعتقد أنَّها كانت تقع على أحد فروع خور موسى. انظر:

Lorimer op. cit, Vol 1, part 2, p 1627;

انظر كذلك الجزء الجغرافي من نفس الكتاب تحت اسم: Qubban.

(2) إنَّ مسألة التبعية الأصلية لبني كعب كانت موضوع نزاع طويل وعنيف بين الدولتين الإيرانية والعثمانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ويعتبر «هنري مور» Henry Moore وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة أول من حاول تحديد هذه التبعية فقد كتب «إنَّ بني كعب هم رعايا عثمانيون في الأصل. وقد سكنوا لسنين طويلة أراضي واسعة ضمن حدود الأمبراطورية العثمانية المحاذية للأمبراطورية الإيرانية. ودفعوا في بعض السنين مبالغ كبيرة من المال إلى خزينة باشا بغداد لقاء سكناهم الأراضي العثمانية. =

سلمان من الفوضى التي سادت إيران بعد وفاة نادر شاه، فبدأ بالتوسع في جهة الشمال والشرق في مناطق كان الإيرانيون يدعون حق السيادة عليها. واصطدم هنا بقبائل الافشار. وبعد صراع عنيف نال الشيخ سلمان المساعدة فيه من أمير الحويزة العربي، استطاع الشيخ أن يتغلب على الافشار ويحتل عاصمتهم الدورق[1]، ويتخذها عاصمة ثانية له إلى جانب عاصمته السابقة قوبان، وقد حاول الشيخ سلمان تشجيع الزراعة والتجارة في كل المناطق التي تحت سيطرته[2].

وباستيلاء الشيخ على الأماكن التي كان الإيرانيون يدعون حق السيادة عليها صار يعتبر من رعايا كلا الدولتين العثمانية والإيرانية في آن واحد. وبذلك ادعى كل من الإيرانيين وباشوات بغداد حق السيادة عليه، كما طالب كل

= وبعد سنين من وفاة نادر شاه وفي وسط الفوضى التي سادت إيران، أخذ بنو كعب في امتلاك أراضي جديدة ضمن الأمبراطورية الإيرانية ولهذا أصبحوا رعايا لكلا الدولتين العثمانية والإيرانية». انظر:
Letters from Bussora, Gombroon, etc Vol 16 letter from Basra to London, dated April 9, 1767;
وأكد راولنسن في مذكرته عن النزاع العثماني الإيراني وجهة نظر مور في أنَّ بني كعب كانوا رعايا عثمانيين في الأصل. انظر:
Rawlinson, Memorandum on the Dispute Between Turkey and Persia, 1844.

(1) W. F. Ainsworth, A personal Narratire of the Euphrates Expedition, London: 1888, Vol 11, p 208.

(2) Curzon, op. cit, Vol 2, p 323.

فريق منهما إيَّاه بدفع أتاوة سنوية كاعتراف منه بسيادتهم. على كلٍّ حال، لم يفعل الشيخ سلمان شيئاً من هذا القبيل، فبإعلان ولائه للإيرانيين تارة وإلى باشوات بغداد تارة أُخرى، وبإثارته وتحريضه بعض هؤلاء على البعض والاستفادة من الخلافات بينهما لم يحافظ الشيخ على استقلاله فحسب، بل استمر بالتوسع على حسابهما فبعد أن تمَّ له الاستيلاء على الدورق ووطد نفوذه فيها، اتجه نحو الغرب.

وبدأ الاستيلاء على الجزر الواقعة في شط العرب الواحدة تلو الأُخرى. وكانت كل هذه الجزر تابعة للبصرة. ثم عبر إلى الجانب الغربي من النهر واحتل الكثير من القرى وبساتين النخيل هناك، حتَّى وصل حدود مدينة البصرة بالذات ففزعت لهذا سلطات المدينة. وممَّا زاد في هذا الفزع قيام الشيخ سلمان بعرقلة الملاحة في شط العرب والتعرض لها.

وأول تهديد قام به الشيخ لملاحة شط العرب يرجع تاريخه إلى سنة 1747م. فقد ورد في سجلات شركة الهند الشرقية لهذا العام أنَّ الشيخ سلمان قد تعرض للسفن القادمة إلى البصرة وأوقف الملاحة في النهر[1]. وأخذت تعرضات

---

(1) Gombroon, Diary, Vol 6. November 23, 1747.
ويرى الكاتب في هذا دليلاً على أنَّ الشيخ سلمان كان يملك أسطولاً قوياً مكَّنه من إيقاف الملاحة في شط العرب في هذا الوقت بالذات، بينما هناك شبه إجماع عند من كتبوا عن كعب بأنَّ الشيخ سلمان لم يهتم ببناء السفن =

الشيخ سلمان تزداد بمرور الأيّام. وكان عجز سلطات البصرة عن ردعه مشجعاً له على الاستمرار.

وفي سنة 1757م أراد كريم خان القضاء على الشيخ سلمان فزحف إليه بجيش كبير. ووصل هذا الجيش إلى الدورق فدمرها، أمّا الشيخ فقد استطاع الفرار إلى الجزر الواقعة في شط العرب وأخذ ينتقل من جزيرة إلى أُخرى. ثم عبر النهر إلى الضفة الغربية. ولم يستطع كريم خان اللحاق به لافتقاره إلى السفن ولطبيعة المنطقة الجغرافية، حيث تكثر المستنقعات والجزر والأنهر. وأخيراً اضطر كريم خان إلى الانسحاب من منطقة الشيخ سلمان[1]. ما إن انسحب حتّى عاد الشيخ إلى سيرته الأولى. ثم إنَّ حملة كريم خان أظهرت لهذا الشيخ الذكي أهمية الدور الذي قامت به سفنه خلال الحرب، فقد كانت ملاذه في الشِّدَّة ووسيلته في الهرب والتخلص من بطش كريم خان. فعمد في الحال إلى تعزيز أسطوله وذلك ببنائه عدداً من «الغلافات Gallivats»[2]. وقد

= وإنشاء أسطول له إلّا بعد سنة 1757م.

(1) Lorimer, Vol Part 11, pp 1628-9.

(2) الغلافة (الكلافة) صنف خاص من السفن التي لعبت دوراً مهماً في الخليج خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وقد ظلت هذه السفن شائعة الاستعمال على طول الساحل الغربي للهند وفي منطقة الخليج العربي حتى نهاية القرن المذكور. و(الغلافات) سفن حربية، تتحرك بالمجاذيف عادة. وتتميز بأنّها تستطيع السير في مياه قليلة العمق. ولم يستطيع الكاتب أن =

أتقن صنعها وأحسن تسليحها حتى أصبحت قوَّة فعَّالة قادرة على العمل في أية جهة يوجهها إليها الشيخ.

وأظهرت سلطات البصرة عجزاً تاماً في مواجهة الموقف الجديد، فأخذت تشتري مرضاة الشيخ بالمال، كما أنَّها كانت تتغاضى عن تعدياته المتكررة على الأراضي والسكان المحيطين بمدينة البصرة. ولكن سياسة الترضية والتغاضي لم تزد الشيخ سلمان إلَّا تمادياً وإصراراً حتى أنَّ باشا بغداد اقتنع في النهاية بأنَّ القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الشيخ سلمان. وافتقار الباشا إلى الأسطول الذي يستطيع أن يضاهي أسطول الشيخ سلمان دفعه إلى الاستعانة بسفن شركة الهند الشرقية الإنكليزية[1]. وقدم موظفو الشركة هذه الخدمة للباشا بغية التقرب إليه والحصول منه على امتيازات تجارية جديدة، ورغبة منهم كذلك في حماية الملاحة في شط العرب والمحافظة على مصالحهم التجارية في البصرة، هذه المصالح التي كانت فعاليات الشيخ سلمان تمثل تهديداً لها. وقامت وحدات من جيش الباشا البرية تساندها بعض السفن

= يجد أصلاً لهذه الكلمة في القواميس العربية. وإطلاق اسم غلاف، حتى يومنا هذا، على صانع السفن في البصرة وبعض مناطق الخليج قد توحي بأنَّ كلمة (غلافة) عربية الأصل.

(1) Bombay Public Consultation, Vol 24, September 1, 1761; Abstract of letters Received from Bombay, Vol 2 letter from Basra dated November 14, 1763.

الإنكليزية بحملات عديدة ضد الشيخ سلمان، لم تؤد أي منها إلى نتيجة حاسمة. وكان لدهاء الشيخ ومقدرته وقوَّة (غلافاته) ومهارة العاملين فيها أثر في ذلك. وهكذا كانت قوَّة الشيخ في ازدياد مطرد، وكثرت تحدياته تبعاً لذلك. وفي سنة 1765م كان السائح الشهير نيبور في البصرة وقد ترك لنا وصفاً ممتعاً للأحداث في المدينة والعلاقات بين الشيخ سلمان وسلطات المدينة هناك. فيقول نيبور إنَّ الشيخ سلمان كان خلال مكوثه في البصرة حاكماً لمنطقة مهمة في إيران ومسيطراً على كل الجزر ومصبات شط العرب التي كانت عائدة كلها إلى البصرة سابقاً. ويحدثنا عن دهاء الشيخ سلمان فيقول: «. . . وكان يعرف كيف يجتذب إلى صفِّه بالأموال أنبل أعيان مدينة البصرة»[1]، أمَّا عن قوَّة أسطول الشيخ فيقول نيبور إنَّ الشيخ سلمان كان يمتلك عشر (غلافات) وسبعين سفينة صغيرة أُخرى، وإزاء ذلك كانت قوَّة المتسلم في البصرة تتناقص سنة بعد أُخرى، وقد بلغ خلال مكوثي هناك، حداً من الضعف جعله لا يقوى على الوقوف حتى أمام هذا الشيخ الصغير»[2].

والواقع أنَّ قوة الشيخ سلمان بلغت درجة كبيرة حتى أنَّه لم يبق باستطاعة باشا بغداد التغاضي عنها. كما أنَّ كريم خان

---

(1) مشاهدات نيبور: ص350.

(2) نفس المصدر: ص360.

لم يكن قد فقد الرغبة في محاربة الشيخ والقضاء عليه. فتم الاتفاق بينهما على توحيد جهودهما في محاربة الشيخ سلمان واحتلال أراضيه وتدمير أسطوله. وقاد كريم خان في عام 1765م جيشاً كبيراً ضد الشيخ وذلك بعد أن حصل على وعد من متسلم البصرة بتقديم مساعدة فعالة له[1]. وعندما وصلت جيوش الخان منطقة كعب أخذ الشيخ سلمان في التراجع غرباً. وأخذ ينتقل من جزيرة إلى أخرى في شط العرب، ثم عبر النهر إلى الضفة الغربية. وكان المتسلم راغباً رغبة صادقة في مساعدة كريم خان، وقد أعد للأمر عدته. وجاءت لهذا الغرض كتيبة من المشاة من بغداد للانضمام إلى القوات الموجودة في البصرة، كما أعدت قوّة بحرية مناسبة. وكانت هذه تتألف من إحدى عشرة (تكنة) و(غلافة) واحدة. واستأجر المتسلم سفينة إنكليزية، لم تكن من سفن شركة الهند الشرقية، ولكنّها كانت من تلك السفن التي تتاجر تحت حمايتها[2]. واستعان المتسلم كذلك بملاحين إنكليزيين شابين

---

(1) Letters from Bussora, Gombroon, etc letters from Basra dated May 15 and 17, 1765.

(2) كان لشركة الهند الشرقية الإنكليزية حق احتكار التجارة الإنكليزية مع الهند ومنطقة الخليج العربي. لهذا كان يتحتم على السفن الإنكليزية التي لا تعود للشركة أن تحصل على إذن خاص في الشركة للتجارة مع هذه الأماكن وعليها في هذه الحالة أن تدفع أجوراً خاصة للشركة، وتتمتع لقاء ذلك بحماية الشركة لها.

لقيادة اثنتين من (تكناته)[1]. واستغرقت التدابير والإجراءات السابقة وقتاً طويلاً جداً، الأمر الذي أفسد الخطة برمتها وأنقذ الشيخ سلمان من الهلاك[2]. وطال انتظار كريم خان لوصول قوات الباشا، وأخيراً عيل صبره فقرر ترك الميدان والانسحاب. وفي شهر مايس 1765م، بينما كانت قوات الباشا على وشك التحرك، وصلت رسالة من الخان إلى المتسلم يعبر فيها عن بالغ امتعاضه وسخطه ويخبره فيها بقراره بإيقاف القتال والانسحاب[3]. وكانت خيبة الأمل كبيرة في البصرة. ومع هذا قرر المتسلم السير قدماً في استعداداته، وزحف ليحارب الشيخ سلمان بمفرده، وسارت القوات البرية، وكان قوامها خمسة آلاف رجل على الجانب الغربي من شط العرب. وسار الأسطول برفقتها. وأخيراً وصلت جيوش الباشا إلى الجهة المقابلة للنهاية الشمالية لجزيرة عبادان، حيث كان أسطول كعب راسياً هناك. ووفرت السفينة الإنكليزية شيئاً من الحماية لتلك الجيوش. وذهب جنود الباشا في الليلة الأولى للنوم وهم مطمئنو البال تماماً وذلك لوثوقهم من عظمة قوتهم البرية والبحرية. غير أنَّه في منتصف الليل استطاعت (غلافات) كعب مباغتة أسطول الباشا

---

(1) مشاهدات نيبور: ص400.

(2) Letters from Bussora, Gombroon, etc. letters from Basra dated May 15 and 17, 1765.

(3) Ibid.

واستولت على ثلاث (تكنات) دون مقاومة. وفي صباح اليوم التالي تجرأت سفن كعب فنشرت أشرعتها وسارت في شط العرب، وقد هاجمت بعض القرى جوار مدينة البصرة واستولت على عدد كبير من القوارب العائدة إلى تلك المدينة[1]. وتيقن المتسلم أنَّه لا يستطيع الاستمرار في الحرب دون حماية بحرية كافية وأنَّ السفينة الإنكليزية التي معه لا تستطيع توفير تلك الحماية بمفردها، فقرر عقد صلح مع الشيخ سلمان وإيقاف العمليات الحربية والانسحاب[2]. وهكذا رجع جيش الباشا إلى البصرة بخفَي حنين.

وبهذا نجح الشيخ سلمان خلال أشهر قليلة في رد جيش كريم خان وجيش باشا بغداد على أعقابهما. ولم يستطع أي منهما أن ينال منه شيئاً.

وأعطى هذا النجاح الشيخ سلمان ثقة بنفسه وأسطوله. وهذه الثقة دفعته إلى الالتفات إلى الإنكليز لتسوية الحساب معهم. فقد تطرقنا في الصفحات السابقة إلى الدور المهم الذي لعبه الإنكليز في مساعدة سلطات مدينة البصرة في نزاعها مع كعب. ومع أن سفن شركة الهند الشرقية لم تشترك في الحملة الأخيرة ضد القبيلة، فإنَّ سفينة إنكليزية وبحارة

---

(1) مشاهدات نيبور: ص40 ـ 41.

(2) نفس المصدر: وانظر كذلك:
Lorimer, vol 1, part 1, p 1219.

إنكليز اشتركوا فيها، كما ذكرنا، كما أنَّ وكيل الشركة في البصرة «بطرس رينج Peter Wrench» كان له دور فعَّال في تهيئة تلك الحملة خاصة بالنسبة لذلك الجزء الخاص بالأسطول[1].

ولم يخف الشيخ استياءه من تصرف الإنكليز، وقد رأى فيه تدخلاً في أُمور لا تعنيهم، وعملاً عدائياً سافراً ليس له ما يبرره. وقرر الشيخ سلمان أن يوجه إليهم ضربته، ففي يوم 18 تموز سنة 1765م، هاجمت (غلافات) كعب سفينة شركة الهند الشرقية «سالي Sally» في شط العرب وكانت قادمة إلى البصرة من مدراس في الهند. وقد باغتها رجال كعب واستولوا عليها قبل أن يستطيع ربانها مغادرة غرفة قيادته. وفي اليوم التالي هاجمت (غلافات) كعب (يخت) الشركة كذلك وهو في طريقه من بوشير إلى البصرة واستولت عليه. وكان بصحبة اليخت سفينة إنكليزية تجارية كبيرة (فورت وليم Fort William) وعندما رأت هذه ما حلَّ (باليخت) حاولت الفرار والتراجع إلى الخليج، ولكنَّها ضحت ولم تُطِق الحركة، فأحاطت بها عن بعد (غلافات كعب). ولما انحسر المد ولم تعد مدافع السفينة تستطيع العمل، اقتربت منها (الغلافات) واستولت عليها وسحبتها مع كل من (سالي) و(اليخت) إلى قرب قوبان[2].

---

(1) Ibid. Vol 1 part 1, pp 1219-1220.

(2) Bombay public Consultation, Vol 28, September, 29, 1765.

وكان رد الفعل الإنكليزي لهذا التحدي العربي عنيفاً جداً. فما أن وصلت أنباء الاستيلاء على تلك السفن إلى البصرة حتى دخل وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة بمفاوضات مع المتسلم وذلك لاتخاذ سياسة موحدة ضد الشيخ. وتوصل الطرفان إلى عقد معاهدة بينهما، اشترط الوكيل فيها ألا تكون ملزمة له إلَّا بعد موافقة رؤسائه في بومباي عليها. ونصَّت تلك المعاهدة على أن تتعاون شركة الهند الشرقية وباشا بغداد في محاربة الشيخ سلمان وتدمير أسطوله. ولتحقيق ذلك يقوم باشا بغداد بتجهيز قوات برية كافية وتقوم شركة الهند الشرقية بإرسال أسطول قوي من الهند[1]. وقد صادق موظفو شركة الهند الشرقية في بومباي على المعاهدة المذكورة وأرسل الأسطول[2]. ووصل هذا إلى مياه شط العرب في ربيع سنة 1766م وكان من أقوى الأساطيل التي أرسلتها الشركة إلى مياه المنطقة خلال تاريخها الطويل فيها. فقد ضمَّ ثلاث سفن كبيرة من صنع أوروبي، وكانت هذه من أضخم وأقوى السفن التي تمتلكها شركة الهند الشرقية، كما ضمَّ ثلاث سفن صغيرة. وأرسلت معه قوَّة برية صغيرة مؤلفة من المشاة والمدفعية، وكميات كبيرة من الذخيرة والمعدات[3].

---

(1) Ibid.

(2) Ibid. October 15, 1765.

(3) Ibid. letters from Bussora, Gombroon, etc. vol 16, March 29, 1766.

وعندما وصل الأسطول إلى مياه شط العرب، تجاهل الوكيل الإنكليزي لفترة قصيرة، المعاهدة السابقة التي عقدها مع المتسلم وحاول تسوية خلافاته مع الشيخ سلمان بصورة منفردة وتقدم بالمطاليب الآتية للشيخ سلمان[1]:

1 ـ تسليم السفن الإنكليزية التي استولت عليها كعب.

2 ـ تسليم حمولة السفن السابقة والتعويض الكامل عمَّا فُقِد من تلك الحمولات.

3 ـ تحمل الشيخ لجميع نفقات أسطول شركة الهند الشرقية الراسي في شط العرب.

4 ـ التعهد بعدم التعرض في المستقبل لأية سفينة تعود إلى شركة الهند الشرقية أو تتاجر تحت حمايتها.

لم يستجب الشيخ لأي من المطاليب السابقة، وسخر منها قائلاً: إنَّ تلك المطاليب أظهرت له أنَّ الإنكليز أقل فطنة وذكاء ممَّا كان يتصورهم. وأكد الشيخ للوكيل قائلاً إنَّ الشيخ سلمان ليس من أولئك الذين يخيفهم التهديد والوعيد. هذا وأنَّ ثقته بالله وبقوَّته ستضمنان له النصر في النهاية على جميع أعدائه[2].

---

(1) Ibid. نسخة من رسالة بعث بها الوكيل الإنكليزي إلى الشيخ سلمان مؤرخة في 27 آذار عام 1766م.

(2) Ibid. ترجمة لجواب الشيخ سلمان إلى الوكيل الإنكليزي. وكتاب الشيخ لا يحمل تاريخاً، وكان استلامه في يوم 3 نيسان 1766م.

وهكذا فشل الوكيل في التوصل إلى حلٍّ سلمي مع الشيخ سلمان وبدأت الحرب بين الإنكليز وباشا بغداد من جهة وقبيلة كعب من جهة أخرى.

واستمرت العمليات العسكرية ضد كعب مدة ستة أشهر أبدى خلالها الشيخ سلمان من صنوف الشجاعة والمهارة العسكرية والحنكة الدبلوماسية ما أثار إعجاب الجميع حتى أعدائه. ولهذا عمت أخبار هذا الشيخ العربي وشجاعته كل الأنحاء حتى وصلت أوروبا وتحدث الناس طويلاً عنها هناك[1]. وكان الشيخ عند وصول الأسطول الإنكليزي إلى مياه شط العرب وعند بدء القتال في قوبان ولهذا وضع الحلفاء خطتهم لمحاصرة قوبان من قبل الأسطول الإنكليزي ومنع (غلافات) كعب من الإفلات، وقيام قوات الباشا بمهاجمة الموقع[2]. ولكن الشيخ سلمان استطاع بمهارة فائقة الإفلات مع جميع (غلافاته) من الحصار والوصول سالماً إلى الدورق، حيث كان قد انتهى لتوّه من بناء قلعة كبيرة فيها[3]. وظناً من الحلفاء بأنَّ كريم خان لن يعارض إجراءاتهم وأنَّ مصلحته هو الآخر تتطلب القضاء على الشيخ سلمان، فقد

---

(1) Ainsworth, op. cit, vol 11, p 209.

(2) Letters from Bussora, Gombroon, etc vol 16. Letter from Basra dated April 12, 1766; another letter dated April 20, 1766.

(3) Bombay Public Consultation, Vol 29. Letter from Basra dated June 30, 1766.

نقلوا عملياتهم الحربية إلى الدورق[1]. ولما لم يكن باستطاعة السفن الإنكليزية التغلغل من النهر الصغير الموصل إلى الدورق فقد بقيت هذه السفن في شط العرب[2]، محاولة حماية السفن التجارية من مباغتة (غلافات) الشيخ سلمان لها. ولمنع تلك (الغلافات) من جلب الإمدادات إلى الدورق. وفي نفس الوقت نجحت جيوش الباشا من إقامة معسكر لها قرب الدورق[3].

ودارت رحى الحرب بين قوات الشيخ سلمان والحلفاء خلال أشهر صيف 1766م وكنت الظروف المحيطة بالأخيرين قاسية للغاية. فخلال النهار كانت الحرارة مرتفعة جداً والرطوبة عالية، وذلك لكثرة المستنقعات في المنطقة ولقربها من الخليج. ولم تكن الأمسيات بأحسن حال، فوخامة الجو وكثرة البق والخوف من مباغتة رجال كعب كلها أُمور حرمت الجنود من النوم وأرهقتهم غاية الإرهاق[4]. ولم تكن العلاقات بين رجال

---

(1) Ibid.

(2) يذكر لورمير أنَّ النهر الموصل إلى الدورق قد يكون ما يعرف الآن بخور دورق أو خور موسى الكبير الذي يكون خور دورق جزءاً منه. انظر:
Lorimer, op. cit Vol 1, part 11, p 1637.
انظر كذلك القسم الجغرافي في نفس الكتاب تحت اسم دورق.

(3) Bombay Public Consulation, vol 29 letter from Basra dated June 30, 1766.

(4) للاطلاع عن وضعية هذه القوات وعن تفاصيل العمليات العسكرية انظر:
= Letters from Bussara, Gombroon, etc. Vol. 16. Correspondence between

الباشا والإنكليز حسنة على الدوام، إذ إنَّ طول أمد الحرب وتعقد المشاكل ولّدا الكثير من سوء الظن والتوتر بين الطرفين. وفي الخريف تعرض الحلفاء إلى عدد من النكسات. ففي أوائل أيلول استطاع أسطول كعب إحراق تسع سفن من مجموع اثني عشرة سفينة من سفن الباشا ـ من صنف (الگالي Galley) ـ[1] من ضمنها سفينة القيادة بالذات[2]. وكان ذلك بسبب سوء تدبير القوبودان باشا وغفلته. وفي الليالي التي تلت هذا الحادث أخذت (غلافات) كعب تحاول القضاء على البقية الباقية من سفن الباشا، بل إنَّها كثيراً ما حاولت مباغتة سفن الأسطول الإنكليزي نفسه. الأمر الذي جعل رجال هذا الأسطول في يقظة دائمة وقلق مستمر وقد حرموا من جراء ذلك تذوق طعم الكرى. وحاول الإنكليز إنهاء القتال بأي ثمن، وقد ألحوا على المتسلم للقيام بهجوم عام على الدورق، ولكن المتسلم كان يتخوف من القيام بمثل هذا الهجوم، فأخذ يماطل ويسوّف مدعياً أنَّه في انتظار وصول إمدادات كبيرة من بغداد. وأخيراً قرر الإنكليز القيام بالهجوم أنفسهم، وذلك بعد أن أقاموا معسكراً خاصاً بهم بالقرب من معسكر الباشا. وانتهى الهجوم الإنكليزي بكارثة.

---

the Agency and Captain L. Baillie, the Commander of the fleet, and Captain A. Nesbitt who succeeded Bailie in May 1766. =

(1) (الگالي) سفينة حربية قريبة الشبه بـ(الغلافة). تسير بالمجاذيف وقد يكون لها أشرعة وساريات وقد لا يكون لها ذلك.

(2) Ibid. Letter to the Agent dated September 18, 1766.

فقد استطاع رجال كعب صدَّ الهجوم والقضاء على الجزء الأكبر من المهاجمين، واستولوا على جميع مدافعهم، كما استولوا على ثلاثة عشر صندوقاً من الذخيرة[1]. وعندما وصلت أنباء هذه الكارثة إلى البصرة أمر الوكيل الإنكليزي جميع القوات الإنكليزية بالانسحاب من البر إلى السفن وعدم الاشتراك بأي عمليات برية أخرى، وترك مثل هذه العمليات إلى قوات الباشا وحدها[2]. وأخيراً جاءت النكسة الحاسمة والأخيرة، وذلك عندما وصل إلى معسكر الباشا في شهر تشرين أول سنة 1766م مندوب خاص من كريم خان يطلب من جيوش الباشا ومن الإنكليز إيقاف العمليات العسكرية والانسحاب من منطقة الدورق في الحال، مدعياً أنَّ الشيخ سلمان من رعاياه وأنَّه مسؤول عن حمايته والدفاع عنه[3].

أما الدوافع التي أدَّت بكريم خان إلى اتخاذ هذا الموقف فكثيرة. منها أنَّ ذكاء الشيخ سلمان ومهارته الدبلوماسية وهداياه الثمينة التي قدمها للخان لعبت كلها دوراً في استمالة قلب الأخير إليه[4]، ودفعته إلى معاضدته في

---

(1) Ibid. Letter from Nesbitt to the Agent dated September 25, 1766.

(2) Ibid. Letter from Nesbitt to the Agent dated September 25, 1766.

(3) رسالة طريفة غير مؤرخة من كريم خان إلى وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة .Ibid.

(4) رسالة غير مؤرخة من شيخ بوشير إلى الوكيل الإنكليزي استلمت في 24 مايس سنة 1766م.Ibid.

محنته. والأهم من هذا، أنَّ كريم خان كان ممتعضاً من باشا بغداد لتقاعسه عن مساعدته عندما شنَّ الخان سابقاً هجومه على الشيخ سلمان. أما بالنسبة للإنكليز فكان امتعاضه منهم أشد، وذلك لاعتقاده بأنَّ الإنكليز لم يقدموا له المساعدة البحرية بشكل فعَّال في حربه مع مير مهنا وأنَّ هذا هو السبب في فشل جيوشه أمام ذلك المارد.

على كلٍّ حال، إن طلب كريم خان وضع الحلفاء في موقف حرج جداً. فقررت قوات الباشا الانسحاب في الحال من منطقة الدورق، رغبة منها في تجنب المشاكل مع الخان. ولهذا انتهت العمليات العسكرية البرية بهذا الفشل الذريع. ولم يبق سوى الحصار الإنكليزي البحري ضد كعب. وقد استمر هذا الحصار سنتين أخريين دون أن يحقق الإنكليز مكسباً ما.

وكانت خسائر الحرب مع كعب فادحة. وادعى الإنكليز أنَّ خسائرهم السابقة وتكاليف الحصار المضروب على كعب تفوق فوائدهم ومنافعهم التجارية في المنطقة[1]. وهددوا بسحب أسطولهم وترك باشا بغداد وشأنه مع كعب، إذا لم ينالوا من الباشا ما يعوضهم عن تلك الخسائر والتضحيات وكان مثل هذا التهديد يفزع الباشا كل الفزع ويدفعه إلى إغراء الإنكليز في

---

(1) قدرت قيمة السفن التي استولى عليها بنو كعب 390930 ربية. انظر:
Lorimer op. cit, vol 1, part 11, p 1631.

الاستمرار بمساعدته، وذلك بتقديم المزيد من التسهيلات التجارية والامتيازات. لهذا فليس من المستغرب أن نرى النفوذ الإنكليزي في البصرة قد بلغ درجة من القوة خلال هذه السنوات لم يكن قد بلغها من قبل[1]. أضف إلى هذا أنَّ باشا بغداد قبل تحمل كافة نفقات الأسطول الإنكليزي الراسي في شط العرب، فكان يدفع مبلغ ألف تومان شهرياً[2] ـ وهو مبلغ كبير بالنسبة إلى معايير ذلك الوقت ـ لشركة الهند الشرقية لقاء الحماية التي يوفرها أسطولها للبصرة. ولم يكن أمام الباشا طريق آخر يسلكه، طالما كان عاجزاً عن توفير الأسطول الذي يستطيع الدفاع عن المدينة وحماية الملاحة في شط العرب. والحقيقة أنَّ انسحاب أسطول شركة الهند الشرقية معناه ترك البصرة تحت رحمة كعب. وقد لخص وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة

---

(1) ليس أدل على قوّة النفوذ الإنكليزي في العراق في هذه الفترة من الرسالة التي بعث بها وكيل الشركة في البصرة إلى رؤسائه في لندن ويخبرهم فيها أنَّ احتفاظ متسلم البصرة، سليمان آغا، بمنصبه يعود الفضل فيه إلى نفوذ الوكيل في ديوان الباشا في بغداد. انظر:
Abstract letters Received from Bombay, Vol 2, letter from Basra dated December 6, 1767.

(2) Bombay Public Consulation, Vol 29, letter from Basra dated June, 30, 1766; Letters from Bussora, Gombroon, etv. Copy of a letter from the Agent to the Pasha of Baghdad dated May 5, 1766.
التومان عملة إيرانية. وكان التومان الواحد يساوي ما يقرب من باوندين استرلينيين في هذا الوقت. هذا وإنَّ قيمة التومان في انخفاض مستمر منذ ذلك الحين.

الموقف في إحدى رسائله إلى رؤسائه في لندن فقال: «إنَّ بقاء نفوذ الباشا وسلطانه في البصرة لا يعود الفضل فيه إلَّا إلى وجود السفن الإنكليزية في شط العرب»[1].

وأثرت الأحداث السابقة تأثيراً بليغاً في تجارة البصرة واقتصاديات الولاية. فإن تعرض الشيخ سلمان إلى الملاحة حال دون وصول الكثير من السفن إلى الميناء. ثم إنَّ القلق والحرب والحصار كلها أُمور أثرت في مجرى الأعمال التجارية والاقتصادية في المدينة.

وتوفي الشيخ سلمان في نهاية سنة 1767م وانشغل خلفاؤه في التنافس فيما بينهم الأمر الذي صرفهم عن مضايقة البصرة لفترة من الزمن[2]. ولكن ما كادت الأوضاع تميل إلى الاستقرار في المدينة حتى داهمها الطاعون سنة 1773م. وكان هذا أفظع الطواعين في تاريخ البلاد في العصور الحديثة[3]. وانسحب

---

(1) Letters from Bussora, Gombroon etc. Vol 16. Letter from Basra dated May 29, 1766.

وقد أضاف وكيل الشركة في هذه الرسالة قائلاً إنَّ ترك الأسطول الإنكليزي لمياه شط العرب سيؤدِّي حتماً بحكومتها إلى الانسحاب منها والذهاب إلى بغداد وعندئذٍ ستسقط المدينة بيد عرب كعب فتتدهور وتضمحل ويؤدِّي بها الأمر في النهاية إلى أن تصبح مدينة صغيرة تعيش على صيد الأسماك.

(2) A. T. Wilson, Precis of the Relations of the British Goverment with Tribes and Shaikhs of Arabstan, 1912, p 5.

(3) Letters from Bussora, Gombroon, etc, Vol 17, letter from Basra dated January 16, 1774. =

موظفو شركة الهند الشرقية إلى بومباي هرباً من الطاعون، وأمضوا هناك مدة عام تقريباً. وكانت البصرة في حالة يرثى لها خلال ذلك. فبينما كان الطاعون يفتك بالسكان فتكاً ذريعاً، وقد تعطلت الأعمال في المدينة وشحَّت المواد الغذائية فيها، انتهز بنو كعب فرصة خلو مياه شط العرب من سفن شركة الهند الشرقية وانشغال سلطات البصرة بأمر الوباء، فعاودوا نشاطهم وكثرت تعدياتهم وكررت سفنهم قصف المدينة وشددت الخناق عليها، واضطر المتسلم وهو في وسط كل هذه الصعوبات إلى شراء مرضاتهم ودفع لهم المال الكثير وذلك للكفِّ عن مضايقة البصرة والتوقف عن قصفها[1].

= وقد ذكر الوكيل الإنكليزي في هذه الرسالة أنَّ عدد ضحايا الطاعون في البصرة والمناطق المجاورة قد بلغ مليونين وكانت خسارة البصرة وحدها مائتي ألف وبلغت الوفيات في المدينة ما بين ثلاثة آلاف وسبعة آلاف يومياً. ويرى الكاتب أنَّ هذه الأرقام مبالغ فيها خاصة فيما يتعلق بمدينة البصرة، إذ ليس هناك ما يدلُّ على أنَّ سكان مدينة البصرة كانوا بهذه الكثرة في ذلك الوقت.

(1) Ibid.

أعطى الوكيل الإنكليزي وصفاً مؤلماً للأوضاع في مدينة البصرة خلال عام 1773م ـ 1774م، فقد ذكر أنَّ الصعوبات التي أحاطت بالمتسلم دفعته إلى دعوة رجال من قبائل المنتفق لمساعدته في حفظ الأمن والنظام في المدينة، ولكن هؤلاء عاملوا السكان معاملة الأعداء المغلوبين على أمرهم. يضاف إلى ذلك أنَّ قبيلة كعب تظاهرت بالغضب واعتبرت دعوة المتسلم إلى المنتفق لحماية البصرة وتجاهلها، إهانة بالغة لها لا يمكن السكوت عنها. فجاء أسطول كعب في تموز عام 1773م إلى مدينة البصرة فهاجمها ودمر =

وخفت وطأة الطاعون في نهاية سنة 1773م ونشطت الحركة التجارية من جديد وعاد موظفو شركة الهند الشرقية إلى البصرة لمزاولة أعمالهم التجارية، ولكن ما أن أخذت الأوضاع تميل إلى شيء من الاستقرار، وما أن بدأت الحياة تأخذ شكلها الطبيعي حتى داهمت البصرة مصيبة تفوق مصائبها السابقة ألا وهي مصيبة الغزو الإيراني لها.

= دار القوبودان باشا وأحرق المناوي برمتها كما استولى على قسم من سفن أسطول الباشا وأحرق القسم الآخر. واضطر المتسلم إلى دفع مبلغ كبير من المال وهدايا كثيرة لهذه القبيلة كي تكف عن أعمالها العدوانية.

الفصل الثالث

الغزو الإيراني للبصرة
ودور الأساطيل البحرية فيه

الغزو الإيراني للبصرة
ودور الأساطيل البحرية فيه

بينما كانت البصرة لا تزال تئن من جروحها السابقة راجت الإشاعات عن عزم كريم خان على غزوها. وكان كريم خان سيد إيران المطلق في هذا الوقت. وقد امتد نفوذه إلى كل أنحاء الساحل الإيراني من الخليج العربي، وحالفه الكثيرون من رؤساء القبائل العربية. من هؤلاء شيخ بوشير، وبعض الرؤساء قرب بندر عباس، ومير حسين حاكم جزيرة خارج، الذي خلف مير مهنا في حكم الجزيرة المذكورة. والأهم من كل هؤلاء شيخ قبيلة كعب. وكان لكل واحد من هؤلاء أسطول قوي خاص به. ومجموع أساطيلهم كونت قوَّة بحرية هائلة قلما شهد الخليج لها نظيراً. ولم يحاول كريم خان إعادة تجربة نادر شاه من بناء أسطول إيراني في الخليج، ولكنَّه حاول الاستعانة بالأساطيل العربية السابقة لتحقيق أغراضه وأطماعه في الخليج.

ولم تكن علاقة كريم خان بكل من الإنكليز وباشا بغداد على ما يرام في هذا الوقت. وكان لهذا صلة مباشرة بقرار كريم خان بغزو البصرة واحتلالها.

أما بالنسبة إلى الإنكليز فإنَّ الخلافات التي نشأت بينه وبينهم أثناء حربهما مع مير مهنا لم تسو. وازدادت العلاقات توتراً بين الطرفين عندما تدخل الخان في الحرب التي شنها الإنكليز ضد كعب. كما حنق كريم خان على الإنكليز لإصرارهم على مقاطعة الموانىء الإيرانية وحصر تجارتهم في البصرة[1]. وقد بلغت العلاقات بين الطرفين أقصى حدود التدهور عندما استولى مير حسين، حليف كريم خان، على سفينة شركة الهند الشرقية، (تايگر Tyger)، سنة 1773م بالقرب من بوشير[2]. وأسر من كان على ظهرها من موظفي الشركة. وقد أرسل هؤلاء إلى شيراز عاصمة كريم خان، حيث احتجزوا هناك. ورفض الخان إطلاق سراحهم ما لم يوقف الإنكليز مقاطعتهم التجارية للساحل الإيراني ويفتحوا لهم مقراً تجارياً في بوشير[3].

ورفض الإنكليز الخضوع لضغط الخان، بل إنَّ وكيل

---

(1) Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 17, Letters from Basra May 1, 1774, October 1, 1774.

(2) Ibid. May 5, 1773.

(3) Ibid. September 27, 1774.

الشركة في البصرة (هنري مور) اقترح على رؤسائه في كل من لندن وبومباي إعلان حرب شاملة على كريم خان وعلى جميع حلفائه من الرؤساء العرب في الخليج وتحطيم أساطيلهم تحطيماً تاماً وفرض سيادة إنكليزية محكمة على المنطقة. ولكن رؤساءه كانوا على جانب من الحكمة والتعقل بحيث رفضوا اقتراحه السابق. فلا شك أنَّهم تذكروا فشلهم في محاربة كعب بمفردها، وأدركوا أنَّه سوف لن يتيسر لهم محاربة أساطيل القبائل العربية الأُخرى ودحرها جميعاً.

أمَّا علاقة كريم خان مع باشا بغداد فلم تكن بأحسن حال. وهناك أسباب عديدة لذلك. ففي هذا الوقت كان باشا بغداد قد استطاع دحر جيوش كريم خان على حدود العراق الشمالية. فأراد الأخير الانتقام من الباشا بمهاجمة حدود ولايته الجنوبية، علماً منه بضعف مركز الباشا وعجز وسائل دفاعه البحرية في هذه الجهات[1].

ثم إنَّ كريم خان كان ينظر إلى ازدهار تجارة البصرة وتقدمها بعين الحسد والغيرة. ورغب أن يكون هذا الازدهار

---

(1) انظر عن العلاقات بين كريم خان وباشا بغداد والوضع في شمال العراق: الشيخ رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء، ص149، وانظر كذلك:
Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 17, letter from Basra dated February 1, 1774.

من نصيب الموانىء الإيرانية على الخليج[1]. فرأى في احتلاله للبصرة خير وسيلة لضرب تجارة المدينة والقضاء على منافستها للموانىء الإيرانية. وتذرع كريم خان بأُمور عديدة لمهاجمة البصرة. منها ادعاؤه بأنَّ حكومة الباشا أساءت معاملة الرعايا الإيرانيين في العراق[2]. ومنها إقناع متسلم البصرة عن تقديم المساعدة للخان ضد إمام عمان. فقد كتب كريم خان إلى كل من الوكيل الإنكليزي في البصرة وإلى المتسلم يخبرهما فيها بعزمه على شنِّ حرب ضد إمام عمان ويطلب منهما مساعدته في ذلك، وهددهما بمهاجمة البصرة حال امتناعهما عن تقديم المساعدة. واعتذر الاثنان عن تلبية طلب الخان[3].

والحقيقة أنَّ متسلم البصرة لم يكن غير راغب في تقديم مساعدة للخان ضد إمام عمان فحسب، بل كان ينظر بعين الرضى والاغتباط إلى قوَّة إمام عمان ومقدرته في الوقوف

---

(1) Ibid. May 1, 1774.

(2) سليمان فائق بك: تاريخ المماليك «الكوله مند» في بغداد، ص26.

(3) Letters from Bussora, Gombroon, etc. May 1, 1774.
وقد أجاب الوكيل الإنكليزي كريم خان جواباً طريفاً قال فيه إنَّ إعلان الحرب أمر من اختصاص الدول والملوك أما هو فلا يتعدى كونه تاجراً ليس من حقه ولا من واجبه الدخول في أية حرب أو نزاع يقع بين دول المنطقة. وكلّ ما يستطيع عمله هو أن يفرض وساطته بين الخان والإمام بصفته صديقاً لكليهما.

أمام وجه الإيرانيين. فالإمام هو الرئيس العربي الوحيد الذي بقي مناوئاً للإيرانيين في الخليج. وكان بحوزته الأسطول القوي الذي يمكنه من تحديهم وردّ عدوانهم[1]. وكانت مصلحة باشا بغداد تتطلب بقاء عمان قوية ومستقلة وبعيدة عن نفوذ الإيرانيين. وذلك للمصالح التجارية المهمة التي تربط عمان بالبصرة من ناحية، ومن الناحية الأُخرى فإنَّ استمرار عمان كقوَّة بحرية مهمة في الخليج يحد من تعاظم نفوذ الإيرانيين في المنطقة ذلك التعاظم الذي يمثل تهديداً للبصرة نفسها ولمصالح الباشا في الخليج العربي.

وكانت الشائعات حول عزم الإيرانيين على غزو البصرة قد أخذت في الرواج منذ خريف سنة 1773م[2]. وعرض متسلم البصرة سليمان آغا، الأمر على باشا بغداد. وقد بيَّن له المخاطر التي تتعرض لها المدينة من جراء تهديد الإيرانيين لها. وطلب إليه مد البصرة بكل المساعدات التي تمكنها من مواجهة الغزو الإيراني المرتقب. كما حاول سليمان آغا التقرب إلى عدوه اللدود شيخ بني كعب وتسوية خلافاته معه.

---

(1) وصف أسطول إمام عمان في هذا الوقت بأنَّه يتألف من ثلاث سفن كبيرة وثلاث سفن متوسطة وعدد كبير جداً من (الغلافات) والسفن المسلحة الصغيرة الأُخرى. انظر:
Letters from Bussora, Gombroon, etc. Letter from Basra dated January, 1774.

(2) Ibid.

وبذل جهداً كبيراً في إقناع ذلك الشيخ بالانضمام إليه ضد الإيرانيين. والحقيقة أنَّ أسطول كعب كان أقوى الأساطيل التي يعول عليها الخان وحرمانه منه يفت في عضده ويرجح كفة المدافعين عن البصرة في حالة قيام الإيرانيين بمهاجمتها. وبدا لفترة قصيرة وكأنَّ المتسلم قد نجح في مسعاه. فقد وعدت كعب بأنَّها سوف لا تساعد الإيرانيين حال غزوهم للبصرة، بل وتعهدت بمساعدة المتسلم في تلك الحالة. وذهبت أبعد من ذلك فادعت بأنَّها ستهجر منطقة الدورق، إذا اضطرها الأمر، وسوف تلجأ إلى الجانب الغربي من شط العرب، وذلك للتخلص من ضغط كريم خان ولكي توفر لنفسها حرية العمل[1].

ولكن سرعان ما تبين أنَّ وعود كعب لم تكن صادقة[2]. والواقع أنَّ شيخ كعب لم يكن يخشى بطش الخان فحسب،

---

(1) ولما كان الإنكليز يعتبرون أنفسهم لا يزالون في حرب مع قبيلة كعب فقد رجا المتسلم من الوكيل الإنكليزي التغاضي عن (غلافات) كعب وعدم التعرض لها في حال مجيئها للدفاع عن البصرة ضد الإيرانيين وقد استجاب الوكيل لرجاء المتسلم وتعهد له بذلك. انظر:

Ibid, May 1, 1774.

(2) في شهر نيسان عام 1774م أصدر شيخ كعب أوامره فجأة إلى كل رجال قبيلته في البصرة بترك المدينة في الحال. وفي نفس الوقت وجه شيخ كعب (غلافاته) للاستيلاء على السفينة (فائز إسلام) التي تعود إلى بعض تجار البصرة وكانت قد دخلت شط العرب في طريق عودتها من الهند. واضطر المتسلم إلى الطلب من الوكيل الإنكليزي التدخل لإنقاذ السفينة البصرية من =

بل كان يرى أنَّ المغانم التي سيحصل عليها في حال مهاجمته البصرة والتعاون مع الإيرانيين تفوق تلك التي قد يصيبها في حال التعاون مع المتسلم في الدفاع عن البصرة. وهكذا فإنَّ كعب بدلاً من أن تفي بعهودها السابقة بدأت القيام بأعمال عدائية ضد البصرة. وكانت مثل هذه الأعمال في ازدياد مضطرد خلال عام سنة 1774م[1]. فكان أسطول كعب يهاجم القرى القريبة من البصرة ويستولي على السفن والقوارب العائدة إلى المدينة. وفي مساء يوم 25 كانون الثاني سنة 1775م قام جماعة من كعب قدر عددهم بثلاثمائة رجل باقتحام أسوار المدينة في غفلة من الحرس. ودخلوا السوق الرئيسة فيها ونهبوا المخازن هناك ثم رجعوا إلى سفنهم غانمين سالمين[2]. وكانت هذه التحرشات مقدمة للغزو الإيراني:

فما لبثت أن وردت الأنباء إلى البصرة في 16 آذار سنة 1775م بأنَّ الجيش الإيراني قد بدأ زحفه فعلاً باتجاه مدينة البصرة[3]. وبعد يومين أكدت الأنباء وصول مقدمة الجيش

= أيدي كعب. فأرسل الوكيل إحدى سفن الشركة التي كانت راسية في الميناء. وتراجعت (غلافات) كعب عند رؤية هذه السفينة وأنقذت (فائز إسلام) انظر:
Ibid, May 1, 1774.

(1) Ibid.

(2) A. Parsons, Travels in Asia and Africa, London: 1808. p 162.

(3) = Ibid. P 164.

المذكور إلى السويب[1]. وكان قوام الجيش الزاحف ثلاثين ألف رجل بقيادة صادق خان، شقيق كريم خان. وعسكر الجيش الإيراني لفترة من الزمن في السويب. ورابطت أمامه على الجانب الغربي من شط العرب قبائل المنتفق بقيادة رئيسها الشيخ عبد الله السعدون. وذلك للحيلولة دون عبوره النهر[2].

ومن حسن الحظ أن يكون السائح الإنكليزي «إبراهيم برسنز A. Parsons» موجوداً في البصرة عند بدء العمليات العسكرية الإيرانية ضد المدينة. وقد ترك لنا وصفاً شيقاً للأحداث هناك. كما كتب وصفاً مفصلاً لأسوار المدينة وحصونها ووسائل دفاعها الأُخرى. وذكر الكثير عن شجاعة المتسلم، سليمان آغا، وعن حيويته وإخلاصه. ولعلَّ أهم وأبدع ما كتبه هذا السائح ذلك الدور المهم الذي لعبته القوَّة البحرية خلال الحرب. وممَّا يزيد الأمر متعة وأهمية أنَّ (برسنز) نفسه كان بحاراً في بداية حياته. فكانت له خبرة

= انظر كذلك:

Letters Received by the Governor of Bombay from other Parts of India and else-where, Range 418, Vol 41, letter from Basra April 5, 1775.

(1) قرية من قرى البصرة يمر بها نهر السويب الذي يبعد عن البصرة حوالى 30 ميلاً إلى الشمال من الجهة الشرقية من شط العرب. وهي الآن ناحية تابعة لقضاء القرنة وأراضيها محاددة لإيران عن طريق الحويزة.

(2) Parsons, op. cit, 164; letters Received by the Governor of Bombay, Range 418, Vol 41, letter from Basra dated April 5, 1775.

متميزة بالسفن والملاحة. كما كان من عائلة معروفة بذلك، فإنَّ أباه كان رباناً لإحدى السفن. ويبدو واضحاً ممَّا كتبه (برسنز) ومن سجلات شركة الهند الشرقية أنَّه كانت هناك سفينتان من سفن الشركة راسيتان في ميناء البصرة عند بدء الغزو الإيراني للمدينة[1] وهاتان السفينتان هما (الإيگل Eagle) وتحمل ستة عشر مدفعاً و(السكس Succes) وتحمل أربعة عشر مدفعاً[2]. كما كانت هناك سفينتان كانتا قد وصلتا مؤخراً من بومباي لتنضم إلى أسطول الباشا، وقد أوصى الأخير ببنائهما في الهند لتعزيز أسطوله[3] وأطلق عليهما (دجلة) و(الفرات)

---

(1) Ibid.

(2) Ibid, Longrigg, op. cit. pp 190-2.
ويذكر لونكرك أنَّ المغامر الأرمني «يوسف أمين Joseph Emin كان رباناً للسفينة (السكس). وممَّا هو معروف أنَّ هذا المغامر قد ألف كتاباً بعنوان:
(Life and Adventures of Joseph Emin, London: 1792).
ضمنه حوادث الهجوم الإيراني على البصرة. ولم يستطع الكاتب الاطلاع على هذا الكتاب.

(3) كان باشا بغداد قد كتب إلى حاكم بومباي في تشرين الثاني عام 1772م راجياً منه بناء سفينتين كبيرتين له في الهند لتساعده على حفظ الملاحة في شط العرب والخليج وقد اشترط «أن تكون السفينتان جيدتين وقويتين تحمل كل منهما أربعة عشر مدفعاً ولا تزيد قيمة الواحدة على خمسة وأربعين ألف روبية». واستجاب حاكم بومباي لطلب الباشا وتم بناء السفينتين خلال عام 1773م. وعندما رجع وكيل الشركة من بومباي إلى البصرة في نهاية عام 1773م بعد انتهاء الطاعون جاء بهما معه. انظر:
Bombay Public Consultation, Vol. 38, letter from Basra dated November 1, 1772; Vol 39, October 10, 1773.

وتحمل كل واحدة منهما أربعة عشر مدفعاً. وكان أسطول الباشا يضم بالإضافة إلى السفينتين الكبيرتين السابقتين عدداً قليلاً من (الغلافات) وأصنافاً أُخرى من السفن الصغيرة. وأعلن الوكيل الإنكليزي «هنري مور Henry Moore» في البداية أنَّه سيلتزم الحياد التام ولن يسمح للسفن الإنكليزية في الميناء ولا للإنكليز الموجودين فيه بالتدخل في الحرب القائمة بين الإيرانيين وباشا بغداد[1]. ولكن مور ـ وقد عرف عنه كرهه للإيرانيين ولكريم خان بصورة خاصة وكثرة تقلباته وعدم ثبوته على رأي معين ـ سرعان ما غيَّر موقفه وأبدى تحمساً كبيراً في الدفاع عن المدينة وفي مساعدة المتسلم في وضع الترتيبات اللازمة لهذا الدفاع[2]. وعلى هذا الأساس ساهمت السفينتان

---

(1) فعندما استفسر منه المتسلم فيما إذا كانت السفن الإنكليزية ستقدم المساعدة لحكومته في حالة غزو الإيرانيين للبصرة أجابه قائلاً: «إنَّنا لسنا إلَّا تجاراً هنا، وليس لنا صلة بالخلافات والحروب الَّتي تنشب بين دول المنطقة. ومع تمنياتي الطيبة لحكومة البصرة، فإنَّه من دواعي أسفي أنَّني لا أستطيع مساعدتها: انظر:
Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 17, letter from Basra dated May 1, 1774.

(2) وكان مور قد تلقى أوامر مشددة من رؤسائه في بومباي بعدم التدخل في النزاع بين باشا بغداد والإيرانيين، وعندما تحدى تلك الأوامر، حاول تبرير موقفه بقوله إنَّ الجيش الإيراني المرابط شمال البصرة لا يستطيع الزحف على المدينة دون وصول أسطول كعب وأسطول بوشير إليه. وإنَّه بمنعه وصول هذين الأسطولين إلى المعسكر الإيراني قد ينقذ البصرة وبهذا لا تتعرض ممتلكات الشركة فيها إلى الخطر، وسيدرك الطرفان المتحاربان أهمية =

الإنكليزيتان (الايگل) و(السكس)، والبحارة الإنكليز مساهمة فعَّالة في الدفاع عن المدينة في المراحل الأولى من الغزو الإيراني. ولما كانت القوات البرية المدافعة عن البصرة غير كافية لمواجهة الجيش الإيراني الزاحف فقد قرر المتسلم الاحتماء بأسوار المدينة، وذلك بعد ترميمها وإصلاحها، كما قرر الاستعانة بالسفن الراسية في الميناء. ولم يكن هناك بين رجال المتسلم من يصلح لقيادة السفينتين (دجلة) و(الفرات) لهذا فقد وضعتا تحت قيادة بعض الإنكليز العاملين في خدمة شركة الهند الشرقية. كما تولى بعض البحارة الإنكليز قيادة غلافتين من غلافات الباشا تحمل كل منهما ثمانية مدافع. وبعد أيام من وصول الجيش الإيراني إلى السويب أرسلت (الفرات) في اتجاه المعسكر الإيراني للاطلاع على الأوضاع وجمع المعلومات الضرورية عن تحركات الإيرانيين.

= الصداقة الإنكليزية لهما فيزداد احترامهم للإنكليز. انظر:
Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 17, letter from Basra dated April 5, 1775.

مخطط مدينة البصرة.. رسمه نيبور سنة ١٧٦٥م

1 ـ باب أو دروازة الرباط
2 ـ باب أو دروازة بغداد
3 ـ باب أو دروازة الزبير
4 ـ باب أو دروازة السراجي
5 ـ باب أو دروازة المجموعة
6 ـ باب القوبودان باشا
7 ـ دار المتسلم
8 ـ المحل التجاري الإنكليزي
9 ـ المحل التجاري الفرنسي

وأرسل صادق خان كتباً إلى المتسلم وإلى وكيل شركة الهند الشرقية طالباً فيها إيفاد مندوبين إليه للبحث عن فرض دية، فلم يجب أي منهما الخان. وبعد أيّام وصل وفد إيراني إلى البصرة طالب المتسلم باسم صادق خان دفع مبلغ مائتين ألف روبية مقابل سلامة البصرة، فلم يرد إليه ثانية أي جواب كان[1].

وفي 19 آذار استطاع الجيش الإيراني عبور النهر إلى الضفة الغربية. أما الشيخ عبد الله السعدون فقد ترك مواقعه وانسحب دون أن يحاول عرقلة عبور الإيرانيين ومحاربتهم. ولكن صادق خان اضطر إلى ترك مدفعيته الثقيلة والكثير من معداته على الضفة الشرقية من النهر، وذلك لافتقاره إلى القوارب والسفن اللازمة لعملية النقل. لهذا كان الجيش الإيراني بحاجة ماسة إلى وصول أسطول كعب، الذي كان متجمعاً في هذا الوقت جنوب مدينة البصرة، وذلك للقيام بهذه العملية. كما أنَّ الإيرانيين كانوا بحاجة كبيرة لخدمات هذا الأسطول لإيصال الإمدادت العسكرية والغذائية لهم من الموانىء الإيرانية على الخليج العربي. والحقيقة أنَّ نجاح الجيش الإيراني في احتلال البصرة كان يبدو متعذراً دون وصول أسطول كعب له ليتولى نقل مدفعيته الثقيلة وإيصال الإمدادات. لهذا رأى المدافعون عن المدينة ضرورة منع هذا

---

(1) Parsons, op. cit, p 166.

الأسطول من اجتياز المدينة والتوجه إلى المعسكر الإيراني. وكان الأمر يتطلب مراقبة دقيقة لشط العرب وقيام السفن الراسية في الميناء بالقضاء على أية محاولة يقوم بها أسطول كعب للوصول إلى ذلك المعسكر[1].

وحدث في الساعة الثالثة من صباح يوم 2 آذار أن نجح أسطول كعب، المؤلف من أربع عشرة (غلافة)، في الإفلات من السفن الراسية في الميناء واجتياز المدينة نحو الشمال. ولم تكتشف السفن الإنكليزية وسفن الباشا تحركات أسطول كعب إلّا بعد أن قطع مسافة كبيرة في سيره تجاه المعسكر الإيراني. وحاولت تلك السفن تعقب أسطول كعب، ولكن بعد فوات الأوان، إذ كان هذا قد وصل المعسكر المذكور. وحالت نيران المدافع التي نصبها الإيرانيون على الساحل ونيران أسطول كعب دون اقتراب السفن الإنكليزية من أسطول كعب. وقد استطاعت (السكس) أسر إحدى (غلافات) كعب، كما استطاعت إلحاق الضرر بعدد آخر منها[2]. وأصبح الطريق ممهداً الآن أمام الجيش الإيراني للزحف على البصرة، بعد أن مكّنهم أسطول كعب من نقل مدافعهم الثقيلة. وتجهيزهم بالإمدادات اللازمة.

ولم يفت النجاح السابق الذي أصابه الإيرانيون في

---

(1) Ibid. P. 164-166.

(2) Ibid. p 169.

وقد أعطى برسنز وصفاً ممتعاً لغلافة كعب التي أسرتها (السكس).

عضد المدافعين عن البصرة، ولم يدفعهم إلى اليأس. فقد أدركوا أنَّ الجيش الإيراني لابدَّ له من إمدادات كثيرة أُخرى كي يتسنى له مواصلة الحرب ومحاصرة البصرة واحتلالها. وبإمكانهم منع تكرار وصول مثل هذه الإمدادات عن طريق النهر. والواقع أنَّ أسطول بوشير قد أخذ الآن في التجمع فعلاً إلى الجنوب من المدينة محاولاً اجتيازها إلى الشمال كما فعل أسطول كعب. وهنا اقترح السائح برسنز على المتسلم وعلى الوكيل الإنكليزي إقامة حاجز على شط العرب للحيلولة دون نجاح أية محاولة من هذا النوع. وكان هذا الاقتراح يتضمن إقامة جسر من القوارب يربط بعضها ببعض بالسلاسل والحبال. واقتنع المتسلم والوكيل الإنكليزي بهذه الفكرة وشرعا في تنفيذها في الحال. وقد أقيم الجسر إلى الشمال من نهر العشار. واشترك الجميع ببنائه بكل همة ونشاط. وتمَّ إنجازه في يومين فقط. وقد شعر سكان المدينة بشيء كثير من الغبطة والسعادة بعد بناء الجسر واعتقدوا أنَّ مدينتهم أصبحت في وضع أحسن ممَّا كانت عليه من قبل بفضل وجود هذا الجسر[1]. وإنَّ الأمر لا يتطلب الآن سوى المحافظة عليه ومراقبته من قبل السفن الإنكليزية وسفن الباشا. وبهذا سيحرم الجيش الإيراني من أية إمدادات جديدة. ويؤدِّي به الأمر في النهاية إلى التقهقر والانسحاب.

---

(1) Ibid. 168.

وفي أوائل نيسان وصلت طلائع الجيش الإيراني إلى أسوار المدينة وبدأ الجنود الإيرانيون بنصب خيامهم حولها. ولم يفزع وصولهم السكان فقد كانت معنوياتهم عالية جداً. وأظهر كل بصري استعداده للدفاع عن مدينته، ولم يشذ عن ذلك حتى الشيوخ والنساء. وكان المتسلم سليمان آغا نفسه في مقدمة المدافعين يشحذ هممهم ويرفع من معنوياتهم.

وفي صباح يوم 8 نيسان اقترب أسطول بوشير من مدينة البصرة محاولاً اجتياز الحاجز الذي أقامه المدافعون على النهر، ومهاجمة السفن التي عهد إليها حراسته. وكان أسطول بوشير مؤلفاً من خمس عشرة (غلافة). خمس (غلافات) تحمل كل واحدة عشرة مدافع، وعشر (غلافات) تحمل الواحدة ما بين ستة إلى ثمانية مدافع. كما كان هذا الأسطول يضم السفينة الإنكليزية (تايگر) التي سبق وأن استولى عليها مير حسين من الإنكليز قبل سنتين[1].

وتصدت السفن الإنكليزية وسفن الباشا لأسطول بوشير واضطرته إلى التراجع. وهكذا فشلت محاولة هذا الأسطول للوصول إلى المعسكر الإيراني. كما فشلت جميع الهجمات التي قام بها الإيرانيون خلال الليالي السابقة على أسوار المدينة. وبعد ظهر نفس اليوم (8 نيسان) قام المتسلم يصحبه

---

(1) Ibid. P. 173.

كبار موظفيه والوكيل الإنكليزي والسائح برسنز بتفقد أسوار المدينة للتأكد من سلامتها وصلاحها. فوجدوا كل شيء على ما يرام. وفي غمرة الحماس أخبر المتسلم الوكيل الإنكليزي أنَّه يستطيع التعهد بحماية المدينة من جهة البر إذا استطاع الوكيل حمايتها من ناحية النهر[1].

وبينما كان المتسلم مصمماً على تنفيذ وعده الآنف الذكر، فإنَّ هنري مور، الوكيل الإنكليزي، قد فقد حماسه فجأة وقرر الانسحاب. والظاهر أنَّه لم يخبر أحداً بقراره هذا، ولكنَّه أمر بإعداد السفن لمغادرة الميناء. وظن الجميع أنَّ الغاية من هذا تعقيب أسطول بوشير.

وفي 11 نيسان غادرت البصرة السفينتان الإنكليزيتان (الايگل) و(السكس) وسفينتا الباشا (دجلة) و(الفرات) و(غلافتان) تعودان للباشا أيضاً. وقد ركب على ظهر السفينتين الإنكليزيتين الوكيل نفسه وموظفو الوكالة والسائح برسنز. وفي سير هذه السفن نحو الجنوب اصطدمت فعلاً بأسطول بوشير. واستطاع برسنز أن يميز (12 غلافة) و(13 ترانكي) من هذا الأسطول. وقد عرف أنَّها كانت كلها محملة بالأرز والمؤن الأُخرى والذخيرة للجيش الإيراني المحاصر للبصرة. وعندما اقتربت السفن الإنكليزية وسفن الباشا من

---

(1) Ibid. P.173.

أسطول بوشير اصطفت قطعات هذا الأسطول وأخذت وضع القتال وبدأت إطلاق النار. وردَّت عليها السفن الإنكليزية بالمثل حتى اضطرتها على التراجع والاختفاء من نهر كارون[1]. وفي اليوم التالي بينما كان الجميع يتوقعون الاستمرار في مطاردة أسطول بوشير أعلن الوكيل عن نيته في ترك البصرة والتوجه إلى الخليج. وما أن وصلت السفن إلى الخليج حتى أمر الوكيل بنقل جميع من كان من العرب والأتراك في (دجلة) و(الفرات) إلى (الغلافتين) العائدتين للباشا وإرسال هاتين الغلافتين إلى الكويت. ثم أمر بوضع بحارة إنكليز في (الايگل) و(السكس) في (دجلة) و(الفرات) وسارت هذه السفن الأربع إلى بوشير ومن هناك ذهبت إلى الهند. وقد كتب الوكيل الإنكليزي إلى سليمان آغا يخبره أنَّه إنَّما أخذ (دجلة) و(الفرات) معه إلى الخليج ومن ثم إلى الهند، تجنباً من وقوعهما بيد العدو[2].

وعندما وصل مور إلى بوشير، وجد «روبرت گاردن Robert Garden» قد سبقه في الوصول إليها موفداً من بومباي لإجراء مفاوضات مع كريم خان لتسوية جميع خلافات

---

(1) انظر كذلك:
Ibid. 178; letters Received by the Governor of Bombay, letter from Bushire dated April 26, 1776; letters from Bussora, Gombroon, etc. letter from Moore to London dated July 15, 1775.

(2) Parsons, p 178.

الإنكليز مع الخان. والحقيقة أنَّ الإنكليز في بومباي كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأنَّ كريم خان يستطيع احتلال البصرة وأنَّه سيفرض سيادته المطلقة على منطقة الخليج، لهذا فالأفضل للإنكليز في هذه الحالة عدم الاستمرار في مناصبته العداء. وأبدى كريم خان استعداده للتفاهم مع الإنكليز وقد ألقى باللائمة في كل ما حدث من سوء تفاهم بينه وبينهم على مور شخصياً. وتعهد كريم خان بحماية أملاك الإنكليز في البصرة وأعلن ترحيبه بعودة ممثلي شركة الهند الشرقية إلى المدينة في حالة احتلال جيوشه لها. كما تعهد بعدم التعرض إلى تجارة الإنكليز وسفنهم. وقبل الإنكليز لقاء ذلك فتح مقر تجاري لهم في بوشير[1].

وبعد انسحاب السفن المدافعة عن البصرة تطور الوضع لصالح الإيرانيين كثيراً فلم يعد الحاجز الذي أقامه البصريون على شط العرب بذي جدوى. فقد حطمه أسطول بوشير واجتازه بسهولة. ولم تبق هناك عقبة تحول دون تنقلات أساطيل كعب وبوشير بين الموانىء الإيرانية على الخليج وشط العرب[2]. وأصبح بإمكان الجيش الإيراني الإطباق على المدينة من جميع الجهات، تسانده في ذلك قوَّة بحرية كبيرة وفعَّالة. وهكذا بعد أن كانت السفن المدافعة عن المدينة قد

---

(1) Lorimer, op. cit. vol 1, part 1, p 1257.

(2) Ibid. p 1258.

فرضت نوعاً من الحصار على الجيش الإيراني، فعاقت حركاته وهددت طرق تموينه، تحول الأمر بعد انسحاب تلك السفن فصارت البصرة محاصرة من البر والنهر.

وكان عمل الوكيل الإنكليزي وتخليه عن البصريين ساعة محنتهم مبعث أسى وألم لهؤلاء. وممَّا زاد في أساهم أنَّ باشا بغداد، على الرغم من وعوده المتكررة، لم يرسل لهم القوات اللازمة لشدّ أزرهم في دفاعهم. وقد أرسل لهم عدداً قليلاً من الجند الإنكشارية، وكثيراً من الوعود الفارغة بقرب إرساله المساعدات لهم[1]. وقد أثار موقف الإنكليز وموقف باشا بغداد من البصريين، عطف السائح برسنز وألمه معبراً عن ذلك «مساكين هؤلاء البصريون لقد تخلى عنهم أولئك الذين كانت واجباتهم ومصالحهم تقتضي مساعدتهم بكل ما أوتوا من قوَّة وحول، ولو حصل البصريون على مثل هذه المساعدة، لعجزت إيران برمتها عن أخذ المدينة واحتلالها»[2].

وعلى الرغم ممَّا حدث لم يستسلم البصريون لأعدائهم

---

(1) وصل البصرة من بغداد في أوائل نيسان 200 جندي إنكشاري. وقد حملوا معهم رسالة من الباشا إلى المتسلم يحثه فيها على المقاومة ويعده بقرب إرسال إمدادات أُخرى انظر:

Parsons, op. cit. 171.

(2) Ibid. p 186.

بسهولة واستمرت المقاومة مدة أطول كثيراً ممَّا توقعها الإيرانيون. وكان لشجاعة سليمان آغا وعزمه فضل كبير في ذلك. وشحَّت المواد الغذائية والذخيرة لدى المدافعين، وازدادت الصعوبات أمامهم. ومع هذا رفض المتسلم بإباء جميع عروض صادق خان للاستسلام. وفي شهر أيلول ظهرت للمدافعين بارقة أمل، وذلك عندما تقدم إمام عمان بأسطوله القوي المهاب لمساعدة البصريين. وقد أخذ الأسطول موقفه فعلاً في مدخل شط العرب وسيطر على النهر لفترة من الزمن، تمكن المدافعون خلالها من الحصول على كميات من المؤن والذخيرة مكنتهم من مواصلة الحرب[1]. ولظروف غامضة لم يبق أسطول عمان في موقفه طويلاً، بل انسحب عائداً إلى بلاده. ولعلَّ بُعد الأسطول عن قواعده من ناحية، وخوف الإمام من قيام الإيرانيين بالتعرض إلى عمان نفسها من ناحية أُخرى دفعت الإمام إلى الانسحاب.

---

(1) في 11 أيلول عام 1775م مرَّ أسطول عمان ببوشير في طريقه لنجدة المدافعين عن البصرة وكان مؤلفاً من عشر سفن كبيرة وعدد هائل من (الغلافات) و(الترانكي) والسفن الصغيرة الأُخرى. ويعتقد أنَّه لو هاجم الإيرانيين حال وصوله شط العرب لتمكن من دحرهم، وذلك لأنَّ وصوله لم يكن متوقعاً. ولكنَّه بقي مدة طويلة في مصب شط العرب منتظراً التحاق قطعات أُخرى به. الأمر الذي أعطى الإيرانيين فرصة الاستعداد لمواجهته. انظر:
Letters from Bussora Gombroon, etc. Vol 17. letter from Bushire, dated October 19, 1775.

واستمرت مقاومة البصريين أشهراً كثيرة أُخرى[1]، وأخيراً بعد مقاومة باسلة استمرت أكثر من عام اضطر المتسلم الشجاع إلى قبول الاستسلام في 15 نيسان سنة 1766[2]. ولم يتم ذلك، إلّا بعد أن تعهد صادق خان بالمحافظة على أرواح أهل البصرة وأموالهم[3]. واعتبر سليمان آغا مع رجال حكومته أسرى حرب وأرسلوا إلى شيراز. وكان استبساله في الدفاع موضع إعجاب واحترام الجميع حتى أعدائه الإيرانيين. ولهذا أثر في إرجاعه إلى البصرة بعد انتهاء الاحتلال الإيراني لها، وفي توليته باشوية بغداد بعد ذلك. وقد عرف في التاريخ باسم (سليمان الكبير). وكان بحق من أشهر ولاة المماليك الذين حكموا العراق ومن أقدرهم.

---

(1) وقد نفدت المواد الغذائية واضطر الناس إلى أكل لحوم الحيوانات المحرمة وكلّ ما وصلت إليه أيديهم. انظر: الشيخ رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء، ص155.
انظر كذلك: ابن الغملاس: ولاة البصرة ومتسلموها (بغداد: 1962) ص67.

(2) ذكر الشيخ رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء، ص155، أنَّ باشا بغداد كتب إلى المتسلم بأنَّه لا يستطيع مساعدته ومن الأفضل له ولأهل البصرة الاستسلام للإيرانيين. «ولما قرأ متسلم البصرة كتاب الوالي اتصل بالأعيان والوجوه وأهل الرأي وأطلعهم على جلية الأمر، ثم اتفقت كلمتهم على مكاتبة صادق خان لتسليم البلدة إليهم».

(3) الظاهر أنَّ الإيرانيين لم يحترموا تعهدهم فآذوا السكان واستباحوا الحرمات، نفس المصدر، ابن الغملاس: ولاة البصرة ومتسلموها ص67، انظر كذلك:
A Chronicle of the Carmelites in persia, Vol 2 pp 1210-1211.

واستمر احتلال الإيرانيين للبصرة إلى أن توفي كريم خان سنة 1779م. فقد سادت الفوضى إيران بعد وفاته، ونشبت الحرب الأهلية فيها، الأمر الذي اضطر الجيش الإيراني في البصرة إلى الانسحاب.

وهكذا فإنَّ فقدان القوَّة البحرية أدَّى بالعراق، بصورة عامة والبصرة بصورة خاصة، إلى سلسلة من النكبات وكان من أبرزها الغزو الإيراني. فالحصار الذي ضربه الإيرانيون حول البصرة، أضر بها ضرراً بليغاً. فقد شلت الحياة الاقتصادية في المدينة وعطلت التجارة خلال فترة الحصار. ولم تحسن الأحوال بعد أن استولى الإيرانيون على المدينة. فالحياة الاقتصادية بقيت مشلولة، ثم إنَّ تعسف الجند الإيرانيين واضطهادهم للسكان وابتزازهم الأموال من التجار، كل هذه عرقلت التجارة[1]. أضف إلى هذا، أنَّ البصرة كانت خلال فترة الحصار والاحتلال معزولة عن بقية أنحاء العراق. الأمر الذي أدَّى إلى قطع الصلات بينها وبين تلك الأنحاء.

---

(1) بعد احتلال البصرة بأيام قلائل أصدر صادق خان أوامر لجمع مبلغ 125,000 تومان أو 1,800,000 روبية من التجار في المدينة، وعندما خلف محمد علي خان صادق على حكم المدينة استمر في سياسة ابتزاز الأموال من السكان، الأمر الذي دفع أغلبية التجار إلى الفرار من المدينة. انظر:

Letters Received by the Governor of Bombay Range 418, Vol 41; letter from Basra dated June 4 1776; Ibid, Vol 42, September 26, 1776.

ولم تعد البصرة مركزاً لتجمع البضائع الذاهبة للهند والقادمة منها، إذ توقف سير القوافل التجارية الكبيرة التي كانت تخرج منها إلى سوريا وبغداد. وأخذت الكويت مخل البصرة في هذا الشأن. فأصبحت مقراً للقوافل التي تعبر الصحراء[1].

وعندما انتهى الاحتلال الإيراني لم تكن البصرة هي البصرة نفسها تلك المدينة الغنية المزدهرة قبل ربع قرن. إنَّ تعرضات مير مهنا للملاحة في الخليج، وهجمات بني كعب، والغزو الإيراني للمدينة كل هذه الأحداث قضت على ما كان فيها من ازدهار. وقد تفرق التجار وقلَّت الثروات وتناقص السكان.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ باشوات بغداد اضطروا في النهاية إلى الالتفات إلى أسطولهم لإيلائه شيئاً من اهتمامهم وعنايتهم. فالمصائب التي حلت بهم نتيجة ضعفهم البحري أرغمتهم على اتخاذ سلسلة من الخطوات كان الغرض منها تعزيز أسطولهم ورفعه إلى المستوى الذي يستطيع معه مضاهاة أساطيل أعدائهم. ففي سنة 1765م استعان متسلم البصرة بخبرة بعض البحارة الأوروبيين لتدبير شؤون الأسطول[2].

وجاءت الخطوة الثانية بعد ذلك بقليل، وتمثلت بإبدال

---

(1) Ibid, letters from Basra dated July 2, 1776, Devember 13, 1776; Devember, 1777, January 1778.

(2) Lorimer, op. cit, Vol 1, part 1, p 1219.

(التكنات) (بالغلافات) وبأصناف أخرى مشابهة لهذه. وكانت (التكنات) حتى سنة 1765م هي العمود الفقري لأسطول الباشا، ولكنَّنا لا نرى لها ذكراً بعد هذا التاريخ. وقد برهنت هذه (التكنات) على عجز تام في مواجهة التطورات البحرية الجديدة في الخليج في حين أثبتت (الغلافات) مقدرة كبيرة وملائمة خاصةً لظروف الملاحة والحرب في شط العرب والخليج العربي.

ثمَّ إنَّ بناء السفينتين (دجلة) و(الفرات) في الهند وضمها إلى أسطول الباشا كان خطوة مهمة أخرى لتعزيز هذا الأسطول. وهي تمثل تغيراً جوهرياً في سياسة باشوات بغداد البحرية، فهي تظهر عزمهم على تكوين أسطول ذي سفن تفوق في حجمها وتسليحها ما تستطيع القبائل العربية ذات الموارد الاقتصادية المحدودة الحصول على نظير لها[1].

وكان الغزو الإيراني التجربة الأولى لهاتين السفينتين. ومع أهمية الدور الذي لعبتاه أثناء الغزو المذكور فقد ظهر بوضوح من خلال تلك التجربة أن خلق قوَّة بحرية محترمة لا يتطلب بناء السفن فقط، بل يتطلب كذلك الخبرة بشؤونها والرجال الجديرين بقيادتها والإشراف عليها. والحقيقة أنَّ الافتقار إلى هذه الأُمور كاد أن يجعل السفينتين عديمتي

---

(1) Bombay Public Consultation, Vol 38, Devember 2, 1772.

الفائدة، وأنَّ الدور الذي قامتا به بالمساهمة في مقاومة الغزو الإيراني كان يعود الفضل فيه إلى رجال شركة الهند الشرقية الذين تولوا قيادتهما وتوجيههما.

وجدد باشا بغداد جهوده لتعزيز أسطوله بعد انسحاب الإيرانيين من البصرة. وارتقى متسلم البصرة الشجاع سليمان آغا نفسه منصب الباشوية فكان بطبيعة الحال أكثر إدراكاً ممَّن سبقه من الباشوات لأهمية القوَّة البحرية. فواصل الجهود لتكوين قوَّة بحرية فعَّالة. وفي سنة 1779م فاتح موظفي شركة الهند الشرقية في بومباي بهذا الموضوع راجياً منهم مساعدته في تحقيق ذلك. وقد طلب منهم بناء ست غلافات جيدة له من الهند تحمل كل واحدة منها ستة مدافع. وتعهد بدفع جميع تكاليف البناء[1].

وتحمس ممثل الشركة في البصرة لطلب الباشا وحث رؤسائه في بومباي على تلبيته، موضحاً لهم أنَّ تكوين أسطول قوي للباشا هو أمر في مصلحة الباشا كما هو في مصلحة الإنكليز كذلك. فإنَّ نجاح الباشا في حماية الملاحة في الخليج العربي وفي شط العرب سيوفر للإنكليز الكثير من الجهود ويجنبهم الكثير من المتاعب[2]. وعلى الرغم من إلحاح الباشا

---

(1) Letters Received by the Governor of Bombay, Range 418, Vol 46; letter from Basra dated November 14, 1779.

(2) Ibid.

وممثل الشركة في البصرة بالطلب فإنَّ موظفي الشركة في بومباي لم يكونوا متحمسين له. وذلك لأنَّ تجارة البصرة لم تعد ذات أهميةٍ كبيرة للشركة، كما كانت سابقاً، فلم يعد أمر حمايتها من الأُمور الحيوية لها[1]. ثمَّ إنَّ رجال شركة الهند الشرقية في بومباي وكان لأكثرهم خبرة قيمة بمشاكل الخليج، فقد خدموا في المنطقة، كانوا يشكون في مقدرة رجال الباشا في الاستفادة من أي سفن مهما كنت قوية. وقد عبَّر حاكم بومباي عن ذلك بصراحة حين كتب إلى ممثل الشركة في البصرة قائلاً: إنَّه يخشى أن يساء استخدام هذه السفن المقترح بناؤها فتقع في النهاية بيد أعداء الباشا وبهذا يتفاقم الخطب ويزيد الأمر سوءاً على سوء[2]. ولا توضح المصادر المتوفرة بين أيدينا بشكل قاطع مصير طلب الباشا. إنَّها تشير إلى استمرار الباشا في محاولاته، حتَّى أنَّه أوصل الأمر إلى الباب العالي في الاستانة راجياً منه مفاتحة السفير الإنكليزي لتكليف الحكومة الإنكليزية بالضغط

---

(1) والواقع أنَّ البصرة فقدت أهميتها التجارية بالنسبة للإنكليز حتى أنَّ الشركة اتخذت قراراً سنة 1777م بغلق مقرها التجاري فيها. ولم تعدل عن قرارها إلاَّ بعد نشوب الحرب بين إنكلترا وفرنسا ـ حرب الاستقلال الأمريكية ـ وامتداد نار الحرب بين الدولتين إلى الهند الأمر الذي أدَّى إلى إبقائها على بعض مستخدميها في البصرة وذلك للإشراف على نقل الرسائل من وإلى الهند عبر الصحراء عن طريق ـ بصرة ـ حلب القسطنطينية. انظر:
Despatches to Bombay, letter to bombay, dated July 4, 1777; Bombay Public Consultation Vol 45, July 24, 1778.

(2) Bombay Public Consultation, Vol 47, July 19, 1780.

على الشركة لكي تلبي طلبه[1]. وتشير هذه المصادر كذلك إلى أنَّه تم بناء (غلافة) واحدة للباشا في الهند، وقد تكون هذه قد أرسلت إلى البصرة. كما أنَّ حاكم بومباي وعد ببناء (الغلافات) الأخرى المطلوبة[2]. ولكن ليس واضحاً فيما إذا كان الحاكم قد برّ بوعده وإنَّ هذه (الغلافات) قد وصلت إلى البصرة فعلاً أم لا. إنَّ الشيء الوحيد الواضح الذي نعرفه جيداً أنَّ باشا بغداد فشل حتى نهاية القرن الثامن عشر من تكوين أسطول قوي قادر على القيام بدور فعَّال في الخليج العربي وفي حماية الملاحة في شط العرب.

ولم تستطع إيران أن تلعب دوراً مهماً في الخليج بعد وفاة كريم خان لهذا لم يعد الإيرانيون يمثلون قوَّة تهدد باشا بغداد في الخليج. ولكن القبائل العربية احتفظت بحيويتها ونشاطها، كما استمرت في تهديداتها وتحدياتها لهذا الباشا. ففي عام 1882م هاجمت قبيلة كعب المناطق التابعة للبصرة واستولت على بعض الأجزاء المهمة منها[3]. وفي أواخر عام 1784م كانت الحرب مستعرة بين هذه القبيلة وبين سلطات مدينة البصرة[4] وفي عهد الشيخ غضبان، الذي حكم بين عام 1782 ـ 1792م ذكر بأنَّ

---

(1) Letters Received by the Governor of Bombay Range 418, Vol 47; letter from Basra dated Agust 28, 1781; Vol 48, February 16, 1782.

(2) Bombay Public Consultation, Vol 50; November 15, 1783.

(3) Lorimer, op. cit, Vol 1, part 11, p 1645.

(4) Ibid, p 1646.

هذا الشيخ نجح في الاستيلاء على جميع الأراضي الواقعة على الجانب الشرقي من شط العرب حتى قرية گردلان[1]، بل إنَّه أسكن رجال كعب على الضفة الغربية من شط العرب على بعد عشرة أميال فقط إلى الجنوب من مدينة البصرة. وقيل إنَّه كان باستطاعته الاستيلاء على البصرة نفسها لولا أنَّه اعتقد بأنَّ ليس من الحكمة التوسع في أملاكه كثيراً والأفضل له المحافظة على مناطق سكنى قبيلته الأصلية مع إضافة شيء من الأراضي الجديدة إليها[2].

وفي أواخر القرن الثامن عشر ازداد نشاط قبائل القواسم في الخليج العربي فأخذوا يهاجمون السفن التجارية في الخليج الأمر الذي أثَّر تأثيراً سيئاً على تجارة البصرة وزاد في بؤس سكانها وفي مشاكل حكَّامها دون أن يستطيع باشا بغداد اتخاذ إجراء ما لمعالجة الأمر[3].

وفي عام 1797م نشب خلاف عنيف بين باشا بغداد وإمام عمان وذلك بسبب ادعاء الأخير بأنَّ له ديوناً في ذمة الباشا

---

(1) قرية تقع على الجانب الشرقي من شط العرب مقابل مدينة البصرة تماماً وهي الآن تابعة إلى ناحية شط العرب وكانت قبل سنتين مركزاً لهذه الناحية.

(2) Ibid, p 1647.

(3) Letters Received by the Governor of Bombay, Range 418, Vol 45, Letter from Bushire, January 2, 1779: March 16, 1779.

انظر كذلك: مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797م للرحالة الإنكليزي المعروف جاكسون، تعريب سليم طه التكريتي، (بغداد) ص19.

(ولعلَّه أراد بذلك أجور دفاعه عن البصرة ضد الإيرانيين في صيف عام 1775م الشيء الذي سبقت الإشارة إليه). وكاد الخلاف بين الباشا والإمام أن يؤدِّي إلى هجوم أسطول الإمام على البصرة وتدميرها. واضطر الباشا في النهاية إلى تسوية خلافه مع الإمام تجنباً لمثل هذا الهجوم الذي لم يكن باستطاعته مجابهته بكل تأكيد[1].

وجاء القرن التاسع عشر بتطورات جديدة ومهمة في منطقة الخليج العربي فإنَّ حروب الثورة الفرنسية ونابليون، وغزو الأخير لمصر وتهديده خطوط مواصلات الأمبراطورية البريطانية في الشرق، أظهر لإنكلترا بوضوح الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العربي بالنسبة لسلامة أمبراطوريتها في الهند. فكرست جهودها لتقوية نفوذها في المنطقة وبسط سيادتها عليها. وحاولت القبائل العربية الاحتفاظ باستقلالها ومقاومة النفوذ الإنكليزي، ولكن الأساطيل البدائية لهذِه القبائل لم تستطع الصمود طويلاً، وإنَّما تهاوت الواحدة بعد الأُخرى أمام سلطان الأسطول الإنكليزي الجبَّار. وانتهى الأمر بها جميعاً إلى الخضوع للنفوذ الإنكليزي. وعقدت معاهدات بين حكومة الهند الإنكليزية وقبائل الخليج نُظمت بموجبها العلاقات بين الطرفين. وقد حفظت تلك المعاهدات مصالح الإنكليز في

---

(1) Saldanha. op. cit, p 340.

المنطقة وضمنت لهم سيادة مطلقة عليها[1]. وتعرضت السيادة الإنكليزية في الخليج بين حين وآخر لتحديات الدول الأوروبية الأخرى كفرنسا وروسيا وألمانيا، ولكن تفوق الأسطول الإنكليزي في المنطقة، بل وفي جميع بحار العالم ومحيطاته، مكّن إنكلترا من مقاومة تلك التحديات والاحتفاظ بسيادة كاملة في الخليج العربي طيلة القرن التاسع عشر وجزء غير يسير من القرن العشرين.

والآن ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين أخذت في الأُفق بوادر لأحداث جديدة وتطورات خطيرة، تتطلب منّا الملاحظة الدَقيقة واليقظة الشديدة. فالمد الاستعماري بدأ ينحسر عن كل جزء من أجزاء العالم، ولم تشذّ عن ذلك منطقة الخليج العربي. وقد أخذ النفوذ الإنكليزي بالتقليص فيها. ولم يعد أمام أقطار الخليج إلّا أن تملأ الفراغ الذي سيتركه الاستعمار هناك. وقد بدأت هذه الأقطار فعلاً تنفض عنها غبار الماضي وذلة الاستعمار وأخذت تتحفز لتلعب دورها من جديد في الخليج. وسوف يكون للقطر الذي يمتلك قوّة بحرية فعّالة قصب السبق في الميدان. والعراق كواحد من هذه الأقطار المتحضرة يتميز

---

(1) انظر عن هذه المعاهدات.

C. U. Aitchison (Comp). A. Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Nieghboring Countries, Calcutta, 1909. Vol. X 11.

بموقع جغرافي ملائم وموارد مالية وفيرة وسكان كثيرين. وهذه الإمكانيات تؤهله الآن كما في الماضي لأن يلعب دوراً رئيساً في الخليج. وقد أبدى العراق فعلاً في الآونة الأخيرة شيئاً كثيراً من الاهتمام بشؤون الخليج وبأحوال إخوانه العرب في كل جزء منه. ولكن على المسؤولين في العراق أن يرجعوا إلى التاريخ، قبل أن يقطعوا شوطاً بعيداً في اتجاههم هذا، فيستخلصوا من عِبَرِ الماضي دروساً للمستقبل. وعليهم أن يدركوا أهمية القوَّة البحرية فيولوا أسطولهم شيئاً كثيراً من عنايتهم ورعايتهم. فالأسطول هو وسيلتهم الرئيسة في حفظ مصالح العراق في الخليج وفي تحقيق أهدافه القومية فيه.

الملاحق

الملحق الأول
أساطِيل القبائل العربية في الخليج[1]

1 ـ قبيلة كعب:

تمتلك هذه القبيلة ما بين 10 ـ 12 (غلافة) ذات قوَّة متميزة، كما تمتلك عدداً من السفن التجارية كان قد تمَّ لهذه القبيلة الاستيلاء عليها من الإنكليز ومن أُناس آخرين يتاجرون مع البصرة.

2 ـ بندر ريق وبوشير:

هذان ميناءان يعودان إلى ملك إيران وأساطيلهما من بقايا أسطول نادر شاه. ويضمان الآن بارجتين تصلح إلى

---

(1) جاءت هذه المعلومات الطريفة في رسالة شركة الهند الشرقية إلى الحكومة البريطانية، وقد وصفت الشركة في هذه الرسالة متاعبها في الخليج، وذكرت فيها هذا العرض الطريف لأساطيل القبائل العربية في المنطقة. انظر:
Letters from Bussora, Gombroon, etc. Vol 21, September, 1769.

العمل. ويضمان كذلك بارجتين أو ثلاث بوارج معطلة ولا يمكن إصلاحها وإعادتها إلى العمل مطلقاً. ويمتلك شيوخ وحكّام هذين الميناءين وكذلك شيخ جزيرة خارج عدداً من (الغلافات) المسلحة و(الترانكي). والصنف الأخير من السفن أضعف عموماً بكثير من الغلافات.

3 ـ شيخ جزيرتي هرمز وقشم:

ويمتلك هذا الشيخ بارجة حربية واحدة تحمل 70 مدفعاً وبوارج أصغر منها تحمل الواحدة منها بين 36 ـ 40 مدفعاً، كما يمتلك عدداً من (الغلافات) و(الترانكي).

4 ـ إمام وأمير مسقط:

ويمتلك خمس أو ست بوارج وغراباً يحمل بين 14 ـ 20 مدفعاً، كما يمتلك عدداً من السفن الصغيرة المسلحة.

الملحق الثاني
باشوات بغداد في القرن الثامن عشر

أسماء الولاة	تواريخ توليتهم
مصطفى باشا (دال طبان)	1699 ـ 1702م
يوسف باشا	1702 ـ 1703م
علي باشا (ثانية)	1703 ـ 1704م
حسن باشا الجديد	1704 ـ 1723م
حسن باشا زاده أحمد باشا	1723 ـ 1734م
حاج إسماعيل باشا	1723 ـ 1735م
صدر أسبق محمَّد باشا	1735 ـ 1736م
أحمد باشا (ثانية)	1736 ـ 1747م
صدر أسبق الحاج أحمد باشا	1748م
كسرية لي الحاج أحمد باشا	1748م
سليمان باشا (أبو ليلة)	1748 ـ 1761م
علي باشا	1762 ـ 1763م
عمر باشا	1763 ـ 1775م
أمين باشا الجليلي	1775م

مصطفى باشا	1776م
عبدي باشا	1776م
عبد الله الكية	1776 ـ 1778م
حسن باشا	1778 ـ 1780م
سلمان باشا الكبير	1780 ـ 1802م

الملحق الثالث
حكّام البصرة ومتسلموها خلال القرن الثامن عشر

أسماء المتسلمين	تواريخ توليتهم
القوبودان محمد باشا	1702م
خليل باشا	1706م
مصطفى آغا	1708م
الوزير عثمان باشا	1712م
الوزير حسن باشا	1714م
أحمد باشا	1716م
علي آغا	1741م
الوزير أحمد باشا	1747م
سليمان آغا	1768م
نعمان بك	1778م
سليمان آغا (ثانية)	1779م
سليمان أفندي	1780م

إبراهيم بك	1785م
مصطفى آغا الكردي	1788م
عيسى بك الماردنلي	1789م
عبد الله آغا	1793م
عبد الله آغا (ثانية)	1799م

الملحق الرابع
شيوخ بني كعب خلال القرن الثامن عشر

1 ـ ناصر بن محمد (وهو أول رئيس معروف لبني كعب) قتل
2 ـ عبد الله قتل
3 ـ سرحان قتل
4 ـ مير رحمه قتل
5 ـ فرج الله قتل

(1) 1690 ـ 1722م

؟

6 ـ طهماس خنفر
قتل 1735م
7 ـ بندر (1735 ـ 37م
قتل من قبل سلمان

8 ـ سلمان
9 ـ عثمان
هذان الاخوان حكما بصورة مشتركة 1737 ـ 1767م وعندما مات عثمان حكم سلمان بمفرده إلى 1766م

10 ـ غانم (1766 ـ 1769م) قتل
11 ـ بركات (1770 ـ 1782م) قتل
12 ـ غضبان (1782 ـ 1792م) قتل
13 ـ مبارك (1793 ـ 1794م) خلع من قبل
14 ـ فارس (1794 ـ 1795) خلع من قبل

15 ـ علوان (1795 ـ 1801م)
خلع من قبل
16 ـ بركات (1801 ـ 1812م)

(1) Curzon, op. cit, Vol 2. p 324.

الملحق الخامس
ممثلو شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة خلال القرن الثامن عشر[1]

أ ـ المقيمون 1728م ـ 1763م:

الاسم		السنة
1 ـ مارتن فرنج	Martin French	1728م
2 ـ ناثانيل ويتول	Nathaniel Whitwell	1737م
3 ـ توماس دورل	Thomas Dorill	1739م
4 ـ توماس گرندن	Thomas Grendon	1746م
5 ـ برابازون اليز	Brabazon Ellis	1750م

(1) كان للإنكليز في منطقة الخليج العربي «وكالة Agency » على رأسها «وكيل Agent ». وكان هذا الوكيل خاضعاً بصورة مباشرة إلى حكومة بومباي الإنكليزية. وإلى جانب هذه الوكالة كانت هناك «مقيميات Residencies » في أنحاء مختلفة من منطقة الخليج. ويرأس كل مقيمية «مقيم Resident» تابع للوكالة. وقد بقيت بندر عباسَ مقراً للوكالة الإنكليزية في الخليج حتى عام 1763م، حيث انتقلت إلى البصرة. وفي عام 1778م ألغيت الوكالة في البصرة، وأعيدت المقيمية إليها.

6 ـ وليم شو	William Show	1753م
7 ـ جيمس ستوارت	James Stuart	1761م
8 ـ دايموك ليستر	Dymock Lyster	1762م

ب ـ الوكلاء 1763 ـ 1778م:

الاسم		السنة
1 ـ وليم برايس	Willam Price	1763م
2 ـ بطرس رنج	Peter Wrench	1764م
3 ـ هنري مور	Henry Moore	1767م
4 ـ وليم لاتوج	William Latouche	1775م

وقد ألغيت الوكالة عام 1778م.

ج ـ المقيمون 1778م ـ 1800م:

الاسم		السنة
1 ـ وليم لاتوج	William Latouche	1778م
2ـ صاموئيل مونستي	Samuel Monesty	1784م
3 ـ جون كريفث	John Griffith	1786م
4ـ صاموئيل مونستي	Samuel Monesty	1876م

وقد عزل في كانون الثاني عام 1796م وأعيد إلى منصبه في شهر تموز من نفس العام.

الملحق السادس
المصادر

المصادر العربية

1 ـ ابن الغملاس: ولاة البصرة ومتسلموها، (بغداد 1962م).

2 ـ زيات. حبيب: «معجم المراكب والسفن في الإسلام»، مجلة المشرق بيروت 1949م.

3 ـ السالمي. عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، (القاهرة 1380هـ ـ 1961م).

4 ـ السالمي. محمد بن عبد الله وناجي عساف: عمان تاريخ يتكلم، (دمشق، 1383م ـ 1963م).

5 ـ السويدي. الشيخ عبد الرحمن: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، (بغداد، 1962م).

6 ـ الصوفي. أحمد علي: المماليك في العراق 1749 ـ 1831م، (الموصل 1952م).

7 ـ العزاوي. عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، (بغداد، 1953 ـ 1954م).

8 ـ فائق بك. سليمان: تاريخ المماليك «الكوله مند» في بغداد، نقله عن التركية محمد نجيب ارمنازي (بغداد 1961م).

9 ـ فائق بك. سليمان: تاريخ بغداد، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس (بغداد، 1962م).

10 ـ الكركوكلي. الشيخ رسول: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، (مكتبة النهضة بغداد).

11 ـ محمد أمين. عبد الأمير: التنافس بين الشركات التجارية الإنكليزية في منطقة الخليج العربي والأقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة كلية الآداب، العدد 6، سنة 1963م.

12 ـ المدني. الشيخ محمد بن حسن الحلواني: خمس وخمسون عاماً من تاريخ العراق 1188هـ ـ 1242هـ، وهو مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، للشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي، (القاهرة، 1370هـ).

13 ـ النبهاني. الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (القاهرة، 1342هـ).

14 ـ نيبور. كارستين: مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة 1765م، ترجمته عن الألمانية سعاد هادي العمري، (بغداد، 1962م).

المصادر الأجنبية

أ ـ سجلات شركة الهند الشرقية:

1 - Factory Records:
A. Gombroon Diary.
B. Letters from Bussora, Gombroon, etc.
2 - Bombay Public consultation.
3 - Abstract of Letters Received from Bombay.
4 - Marine Records.
5 - Letters Received by the Governor of Bombay from other parts of India and elsewhere.
6 - Despatches to Bombay (original Drafts).

ب ـ الكتب والمقالات

1 - Ainoworth, W. F. A Personal Narrativ of Euphrates Expedition. 2 Vols. London: 1888.
2 - Aitchison, C. U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Ralating to India and Neighboring countries. Calcutta: 1909. Vol. x 11.
3 - Carruthers, D. (ed). The Desert Route to India. Hakluyt Society: 1929.
4 - A Chronicle of the Carmelites in Persia and the Papal Mission of the xv 11th and xv 111th Centuries. 2 vols. London: 1939.
5 - Curzon, George N. Persia and the Persian Question. 2 Vols. London: 1892.
6 - Della Valle, Pietro. The Taravels of Sig. Pietro della Valle into East-India and Arabia Desserta. 1665.
7 - Grant, C. P. The Syrian Desert. London: 1937.
8 - Hanway. J. An Historical Account of the British Trade over the Caspian Sen: With a Journal of Travels from London Through Russia into Persia, etc. 4 vols. London: 1753.

9 - Ives, Edward. O Journey from Persia to England by an Unusual Route. London: 1773.
10 - Layard, A. H. "Description of the Province of Khuzistan", Journal of the Royal Geografic Society, vol. xvi, pp 36-45.
11 - ..... Early Adventure in Persia, Susions, and Bobylonia. 2 vols. London: 1887.
12 - Lockhart, L. Nadir Shah, London: 1938.
13 - ..... "The Navy of Nadir Shah". Proceedings of the Iran Society, vol. 1, part 1. London: 1936.
14 - ..... "The Iranian Campains in Oman, 1737-1744" Bulletin of School of Oriental Studies, 1935, vol. v 111, part 1.
15 - Longrigg, S. H. Four centuries of Modern Iraq. Oxford: 1925.
16 - Lorimer, J. G. Gazetteer of the Persion Gulf, Oman, and Centeral Arabia. 2 Vols Calcutta: 1908.
17 - Niebuhr, C. Travel Through Arabia and other Countries in The East. (Translated into English by Robert Heron) Edinburgh: 1792.
18 - Olivier, G. A. Voyage dans l'Empire Ottoman, l'Egypte, et la perise. Paris ix.
19 - Parsons, A. Travels in Asia and Africa, London: 1808.
20 - Rousseau, J. B. Voyage de Baghdad à Aleps. Paris: 1899.
21 - Rawlinson, H. C. Memorondum on the Dispute Between Turkey and Persia. 1844.
22 - Saldanha, J. A. Selections from state papers, Bombay Regarding the East India Company's connection with the Persion Gulf, with a summary of Events, 1600-1800. London: 1908.
23 - Salil, ibn Raziq. The History of the Imams and Seyyids of oman. (Translated by G. P. Badger), London: 1871.
24 - Stavorinus, J. S. Vayage to the East Indies. (Translated by S. H. Wilcocke), London: 1798. vol 111.
25 - Sykee, P. M. A History of Persia. 2 vols. London: 1915.
26 - Teixeira, P. The Travel of Pedro Teixeira, with His Kings of

Harmuz. and extracts from His, Kings of Persia. Hakluyt Society: 1902.
27 - Wilson. A. T. Precis of the Relations of the British Government with Tribes and Shaikhs of Arabstan, 1912.

هذا الكتاب

لعبت القوَّة البحرية دوراً أساسياً في تاريخ الخليج العربي في مختلف عصور التاريخ. وقد أعطت هذه القوَّة، لمن ملك ناصيتها، سيادة مطلقة في الخليج العربي لمدة تزيد على قرن من الزمان لأنَّهم جاؤوا إلى هذا الخليج بأساطيل قوية، مؤلفة من سفن كبيرة ذوات أسلحة نارية فتاكة، لم يكن لسكان المنطقة قِبَلٌ بها، وقد عجزوا عن مقاومتها. وعندما فقد البرتغاليون تفوقهم البحري في القرن السابع عشر، خسروا سيادتهم على المنطقة.

وظهر الإنكليز والهولنديون في الخليج العربي منذ أوائل القرن السابع عشر، ونافسوا البرتغاليين منافسة شديدة كانت سبباً في إضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم. وعلى الرغم من أهمية الدور الذي لعبه الإنكليز والهولنديون في المنطقة، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، فإنَّه لم يتيسر لأي منهم ضمان تفوق بحري، لهذا بقي نفوذهم محدوداً في الخليج. وقد تنازعت السيادة على المنطقة قوى مختلفة خلال القرنين المذكورين. وتميَّز العمانيون بنشاط ملحوظ خلاف النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثاني عشر. وتولوا بالذات تصفية نفوذ البرتغاليين في الخليج والاستيلاء على قواعدهم الواحدة تلو الأُخرى. وحاول الإيرانيون في عهد نادر شاه ـ للمرَّة الأولى في تاريخهم الحديث ـ تأسيس قوَّة بحرية فعَّالة في الخليج، وفرض سيادة إيرانية على المنطقة.

دار الوراق للنشر

Alwarrak Publishing Ltd.